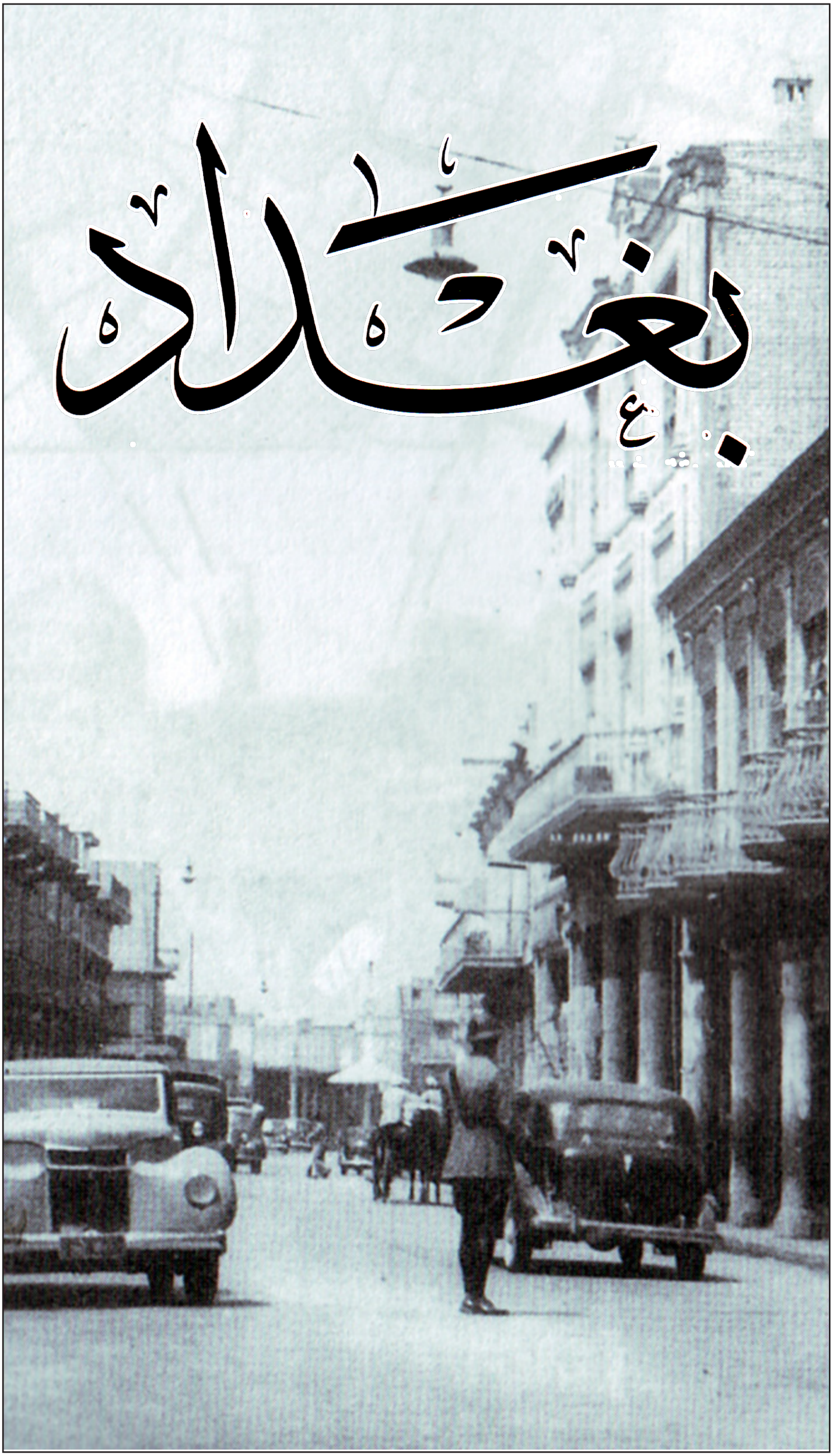

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1656) السنة السابعة
الاثنين (16) تشرين الثاني 2009

2
القصد والاستطراد في اصول معنى بغداد

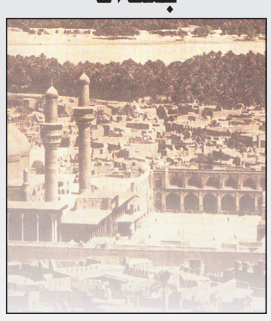

10
مقهى (الواق واق) في الأعظمية

القصد والاستطراد في اصول معنى بغداد

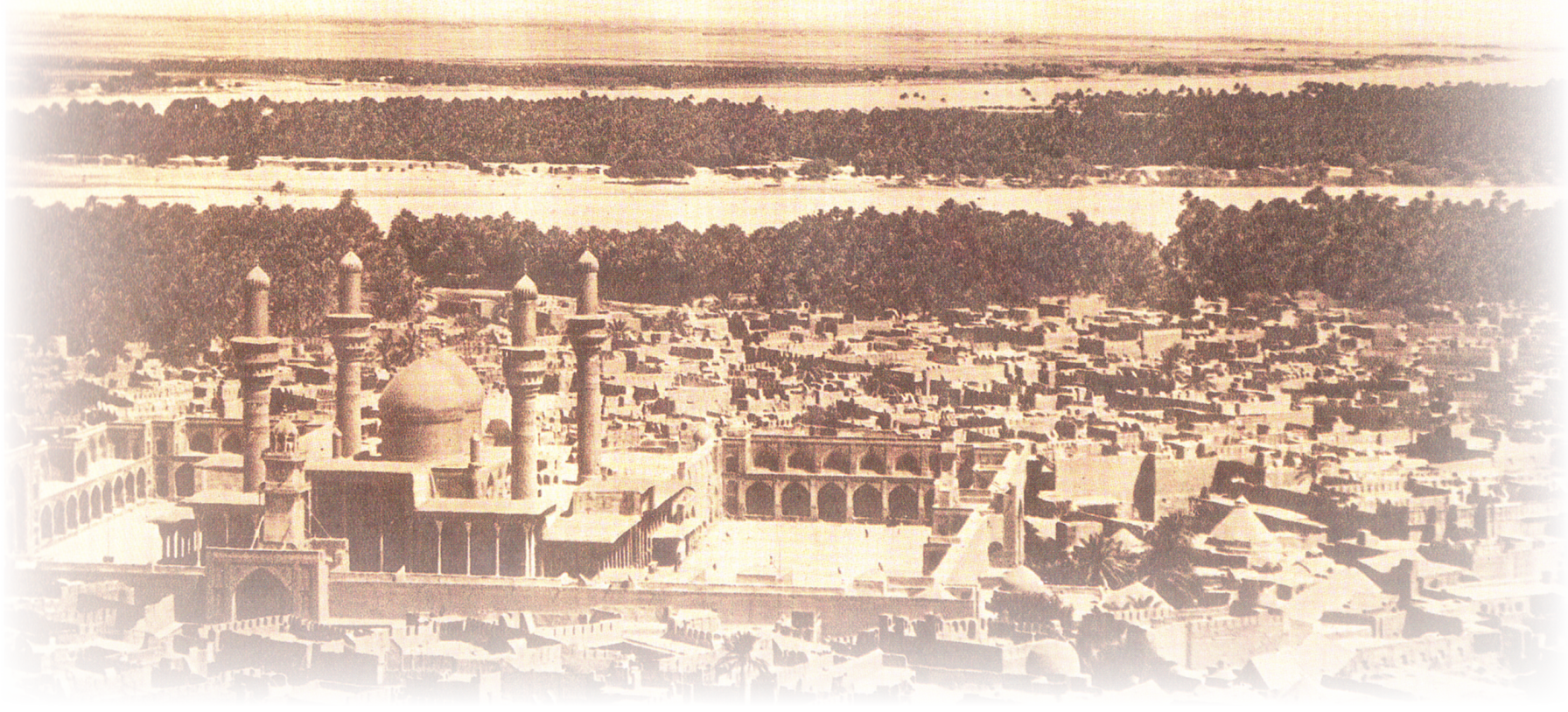

توفيق وهبي

المدخل

قرأت في مجلة سومر (المجلد الرابع، الجزء الاول، كانون الثاني ١٩٤٨) مقالا للبحاثة الاستاذ يعقوب سركيس، عنوانه، البصرة هل اصل الكلمة آرامي؟. وقد انتهى المقال بهذه الحاشية:

لمعالي الاستاذ يوسف غنيمة رأى ابداه بتحفظ في معنى كلمة (بغداد) وهو انها (بكدادا) ومفادها: مدينة او دار او بيت الغنم والضأن. (راجع لغة العرب ٤- ١٩٢٦/ ٢٧، ٨٠).

فراجعت المجلد الرابع للغة العرب وطالعت فيه رأي صاحب المعالي الاستاذ غنيمة ذلك، وهذا نصه:

ولي رأي خاص في معنى اسم بغداد ولقد عنّ لي في تضاعيف بحثي منذ زمن، ولم انشره حتى اليوم، فأذكره بكل تحفظ وتوق، الذي عندي ان اسم بغداد آرامي مبنى ومعنى وهو مؤلف من كلمتين من (ب) المقتضبة من كلمة (بيت) عندهم، وكثيرا ما تقع في اوائل اسماء المدن مثل بعقوبات وباقوفا وبطنايا وباعشيقا وباعذرا وباجرمى وغيرها،، واللفظة الثانية (كدادا) بمعنى غنم او ضأن (راجع ص ٩١ من معجم دليل الراغبين في لغة الآراميين العمود الثاني الكلمة الثانية المعنى الثاني) فيكون مفاد بكدادا مدينة او دار او بيت الغنم والضأن في اول الامر، ومن المشهور ان الآراميين كانوا فلاحين في هذه الديار يربون المواشي، وبقوا كذلك قرونا عديدة بعد استيلاء العرب المسلمين على العراق، واني افضل هذا الرأي على التأويل الفارسي ولاسيما قد ورد اسم بغداد في الاثار القديمة البابلية قبل احتلال الفرس لهذه الربوع.

فأرجو ان تبدوا رأيكم في هذا التأويل لانه اذا وافق العلماء عليه يكون اول من قال به عراقي بغدادي..

ردنا على الاستاذ غنيمة

ان اسم (بغداد) ليس بآرامي، فمن الثابت في التاريخ الان الآراميين لم تطأ اقدامهم ارض العراق قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، على حين وجدت اثار مرقومة تبرهن انه كان على عهد الملك حمورابي مدينة في مملكته مسماة باسم (بكدادا) ثم ان حجرا من حجارة الحدود يعود تاريخه الى عهد الملك الكشي (نازي- مار تاش) قد كتبت فيه كلمة (بكداد) وكان حكمه في النصف الاخير من القرن الرابع عشر (ق. م) وهذا يؤيد ماقدمنا ذكره من ان اسم بغداد ليس بآرامي الاصل.

وان فرضنا، فرضا محالا، ان الآراميين كانوا في العراق على عهد الملك حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وانهم سموا موضعا جغرافيا بلغتهم الآرامية، فانه لايسع المرء ان يتصور ان كلمة (بيت) كانت قد اختصرت فاصبحت (ب) ومعنى ذلك ان كلمة (بيت كداد) صارت (بكداد) في تلك العصور، فان اختصارا كهذا يتطلب عدة قرون حتى يبلغ تمامه.

ونضيف الى ذلك ان هذا الاسم، (بغداد) منذ عرف في التاريخ حتى اليوم قد حافظ على شكله، مع طول تلك الازمنة السحيقة في القدم، كما سنستعرض المراجع التي ذكر فيها على حسب ازمانها.

ويحسن بنا هنا ان نقول اننا لم نجد في الكتابات الاشورية- حتى التي يعود تاريخها الى اواخر عصرهم – كلمة (بيت) في اسمائهم الجغرافية متحولة الى (ب) ولذلك لانرى من الصواب اتخاذ اختصار الاسماء المألوف في الازمنة المتأخرة مقياسا لكلمة تعود الى الالف الثاني قبل الميلاد.

ردنا على الاستاذ الكرملي

وللاستاذ الاب انستاس الكرملي صاحب مجلة لغة العرب تعليق في ذيل مقال الاستاذ غنيمة، ايّد به قوله بدليلين نذكرهما ونردهما عليه، فالاول قوله:

وقبل كل شيء على المحقق ان يقصي عنه قول من يذهب الى ان الكلمة فارسية الاصل، اذ كيف تكون كذلك والفرس لم يدخلوا العراق الا في عهد كورش (في المئة الرابعة قبل الميلاد) وبغداد معروفة بهذا الاسم قبل الفرس بمئات السنين..

فاقول لنقض دليله الاول هذا، ان الاستاذ الكرملي لو فكر مليا كما فكرنا وفتش عن الحقائق كما فتشنا، ودقق النظر في رأي الاستاذ غنيمة كما فعلنا، لوصل الى النتيجة التي توصلنا اليها حتما، وحينئذ لايجد لنفسه سبيلا غير ان يعد كلمة (بغداد) بعيدة كل البعد عن ان تكون آرامية الاصل، وبهذه المناسبة اود ان اذكر ان دخول (كورش) في بابل كان في سنة ٥٣٨ (ق. م) ولم يكن في القرن الرابع قبل الميلاد كما ذكر الاستاذ.

والدليل الثاني للكرملي هو قوله:

لاجرم ان البلاد السامية السكان لاتسمى الا باسم سامي اي اسم من الاشورية او البابلية او الآرامية او العربية، والحال اننا نعلم ان الآراميين – وهم من اصل سامي كالعرب- قديمو الوجود في ديار العراق، فاذا كان الامر على هذا الوجه فلا بد من ان تكون اللفظة ارمية الوضع، ولهذا نخير رأي صديقنا البحاثة يوسف غنيمة على رأي سواه..

وانا لا اريد اطالة القول في نقض هذا الدليل، فان نظرة عجلى الى الاسماء الجغرافية في العراق توضح لنا تهافته وتكفي في نقضه.

على انني لا ارى بدا من ان آتي ببضعة امثلة في هذا الباب، واني منتخب امثلتي من اسماء اماكن جغرافية قريبة من مدينة (بعقوبا) او على بعد يسير منها، واسم (بعقوبا) كما يرى الاستاذ غنيمة – آرامي الاصل، وفي ذلك دلالة على ان منطقة بعقوبا آرامية، وها هي ذي الاسماء التي اخترتها: خرنابات، معناه (عمارة المجد، او العمارة المجيدة)، (الملحق١)

بهرز، معناه (السعيد اليوم، اي السعيد)، (الملحق ٢)

خريسان، معناه (الشرق) (الملحق ٣)

مهروت، معناه (النهر الكبير) (الملحق ٤)

زرباطية، معناه (عمارة آذربات)، (الملحق ٥)

بلدروز، معناه (نهر الخنزير) او النهر الخنزير) (الملحق ٦)

القوم الذين كان اسم بغداد بلغتهم

وبعد ان تأكد لنا ان كلمة (بكداد) ليست بآرامية الاصل، نرجع الى اقوال مؤرخي العرب وجغرافيتهم واللغويين القدماء منهم لكي نواصل البحث عن اصل الاسم، فقد ذكر هؤلاء ان كلمة (بغداد) فارسية الاصل، فوجدناهم مصيبين في ذلك لانه وان لم يكن الفرس في العراق في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، فقد سكن الكشيون العراق في تلك العصور، وهم شعب كانت لغة الطبقة الحاكمة منهم من فصيلة اللغات التي تنتسب اليها اللغة الفارسية، وهي فصيلة اللغات الهندية – الاوربية.. فاسماء عدد من آلهتهم الرئيسة آرية، وكذلك اسماء كثير من ملوكهم الذين حكموا ٥٧٦ سنة وهي المدة التي استمر فيها سلطان سلالتهم من عام ١٧٤٩ الى ١١٧٣ قبل الميلاد.

ونضيف الى ماسبق ما قاله مشاهير المؤرخين الاوربيين فيهم:

قد اعترف منذ زمن باحتمال انهم – اي الكشيين- من العنصر الاري، ومن الممكن ان نعدهم ببعض التأكيد ممن تجمعهم صلة القرابة بالحكام المتأخرين من (الميتانيين) الذين سيطروا على الاقوام غير الارية، سكان (سوبرتو)، في شمال العراق،

اننا لم نجد في الكتابات الاشورية- حتى التي يعود تاريخها الى اواخر عصرهم – كلمة (بيت) في اسمائهم الجغرافية متحولة الى (ب) ولذلك لانرى من الصواب اتخاذ اختصار الاسماء المألوف في الازمنة المتأخرة مقياسا لكلمة تعود الى الالف الثاني قبل الميلاد .

ن اصل كلمة (داد) من المصدر (دا) وهذا المصدر معروف في فصيلة اللغات المندية – الاوربية، وسنكتفي بذكر ماقاله فيه المستر ويليمس جاكسن في كتابه الموسوم بـ(قراءة الافيستا)

وكان الكشيون في بلاد بابل – كما كان الميتانيون- هم الطبقة الحاكمة اي الطبقة الارستقراطية الا انهم، وذلك مما لاشك فيه، اتوا معهم بطبقة من العامة، ولم يصحب سيطرتهم تبدل ولا تغيير في لغة البلاد ولا في العنصر الساكن فيه..

واولئك الكشيون، الذين كان موطنهم في جبال زاكروس، شمالي عيلام- ذلك الموطن الذي عرفه اليونان في الازمنة السلوقية بـ(كشيوى) اتوا الى بلاد بابل عمالا اول مرة، وبعد ان استقروا فيها اصبحوا تابعين للانظمة العامة التي كان اهل البلاد الاصليون يعاملون بها، فكانوا جندوا مدة معينة في الجيش او مسخرين في فرق العمال، وهكذا تدربوا على الثقافة العسكرية ولولا ذلك لم ينالوها، ويبدو انهم انتهزوا الفرصة في الاضطراب الحاصل بسبب النكبة الحثية، فنصبوا انفسهم حكاما في بابل كما فعل المماليك في القرن الثامن عشر للميلاد حين انتهزوا الفرص في بغداد عند موت احمد باشا فجأة.

اشتقاق كلمة بغداد ومعناها

لقد جاء في تقرير عن حملة الملك سرجون سنة (٧١٤) (ق.م) ذكر اسماء اشخاص واماكن ايرانية، منها (بيت بكي) وهي مدينة ميدية، وهو الاسم الذي قال فيه المستر كمرون: من المحتمل انه قد ترجم الى اللغة السامية فاصبح (بيت الى) اي (بيت الاله) اسم منطقة ميدية، ومما يحتوي عليه كلمة (بك) التي كانت من الكلمات الايرانية المعروفة منذ الازمنة الكشية.

ويقصد المؤرخ بعبارته، القسم الاول من كلمة (بكداد) الكشية التي مر ذكرها، وهو كلمة (بك) وفي ذلك فائدة كبيرة توصلنا الى صحة ماذهب اليه كتاب العرب القدماء من ان اسم (بغداد) كلمة مركبة من (بغ) التي هي (بك) المقدم ذكرها ومن (داد)..

وبعد ان ظهر لنا ان كلمة (بغداد) ايرانية الاصل، وانها مركبة من الكلمتين، (بغ) و(داد) بقي علينا ان نبحث عن اصل تينك الكلمتين وعن معانيهما لكي نستطيع ان نقف على حقيقة معنى (بغداد).

اصل كلمة (بغ)..

ان (بغ) جاءت من الكلمة الهندية الايرانية (بهك) التي يرجع تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد، فانها كانت شائعة بين الاقوام الهندية- الايرانية في العصر الذي كانوا يسكنون فيه معا في موطنهم الثاني، وذلك بعد ان تركوا وطن الهنود- الاوربيين المظنون، وقبل ان يفترقوا فيحلوا في الهند وايران.

وهذه الكلمة:

في الفيدا بهك

وفي كتابات الملوك الأخمينيين بك

وفي الافيستا بغ

وهي على اختلاف اشكالها بمعنى (اله).

ولفظها عند السلافين، وهم اروبيون (بوكو) (الواو الاولى مجهولة) بمعنى (اله) ايضا، وقد اصبحت عند جميع السلافيين الحاليين وهم مسيحيون (بوغ) (بالواو المجهولة) بمعنى (الله)..

وليس من الخطأ ان نقول ان هذه الكلمة الهندية – الاوربية، كانت موجودة في لغة الهنود – الاوربيين، وهم في موطنهم الاصلي.

ويرى المسيو ميه انه لايوجد دليل مقنع على ان الكلمة السلافية القديمة (بوكو) التي مفادها (اله)، كانت مستعارة دخيلة.

ويعتقد المستر جونسن انها كانت قديما كلمة هندية – اوربية هي (بهكو) (بالواو المجهولة) بمعنى (اله) وهي في الفارسية القديمة (بك) وفي الافيستية اليسلية (بغ)، وفي الفارسية الوسطى (بغ)، وفي مخطوطات ترفان: بكيستوم، وفي السنسكريتية (بهك) وفي السلافية، بوكو، قايس ذلك بـ (زيوس بغيوس، الفريجية).

ومعنى كلمة (بغ) مقسم الخيرات، الرزاق، السيد، السلطان، المحسن، وتوجد كلمة افيستية هي (هو- بغ) تفيد معنى (المتمتع بالنصيب الحسن، ويعد المسيو ميه حادثة نفسية لغوية عجيبة ان يكون لكل من الكلمة الهندية- الايرانية (بهك) وللكلمة السلافية (بوكو) معنيان هما (حصة او ثروة، واله)..

اصل كلمة (داد)..

ان اصل كلمة (داد) من المصدر (دا) وهذا المصدر معروف في فصيلة اللغات الهندية – الاوربية، وسنكتفي بذكر ماقاله فيه المستر ويليمس جاكسن في كتابه الموسوم بـ(قراءة الافيستا) قال:

المصدر الاصلي في الافيستا هو (دا) (دث) ومعناه (الاعطاء، الوضع، الخلق، الصنع) وفي السنسكريتية (دا) (دها)، وفي الفارسية القديمة (دا) وفي الفهلوية (داتن) وفي الفارسية الحديثة (دادن)، انتهى..

وقد صيغ من هذا المصدر اسم مفعول في الاشكال الاتية:

في الافيستية (داث) وفي الفهلوية والفارسية الحديثة (داد) او (دات)، وفي الاغريقية، ثيتوس بالواو المجهولة،، وفي الارمنية (دنت) ومعناه (شيء، مؤسس، قانون، مخلوق، مصنوع) وبين الاسماء اسم مفعول في شكل آخر هو، (دايتي) معناه (المنحة، العطية، الخليقة)..

وصيغة اسم المفعول (دات) دخلت في اللغات الايرانية في تركيب كثير من الاسماء، ونذكر منها ما يأتي:

في الافيستية: بغو- دات،، بالواو المجهولة – صنع الالهة.. مخلوقها.

اهور – دات= مخلوق الالهة الاهورات.

دئيفو – دات، بالياء والواو المجهولتين، = مخلوق الديوات.

وفي الفهلوية: مهر دات، اسم علم للاشخاص، مخفف من (مثرو- دات) (بالواو المجهولة) ومعناه مخلوق او عطية (مهر) اي (مثر) (اله الشمس) ويقابله في الايرانية الحديثة (مهرداد)..

خوت – داد، صفة تعني (مخلوقا او متكونا بذاته، او ابديا) وفي الافيستية (هو- دات) وفي الايرانية الحديثة اصبحت هذه الكلمة خداي ومعناها (الله)

اوهر مزد- دات، ومعناه (مخلوق الاله او عطاء الله)..

شيدات دات، ومعناه مخلوق الشيطان، وفي الافستية (دئيفو- دات) بالياء والواو المجهولتين، بالمعنى نفسه.

الخاتمة

واخيرا نذكر معنى بغداد فان الادلة والبراهين التي تبسطنا في ذكرها في هذا المقال تثبت ان بغداد كلمة ايرانية وان معناها عطية الاله، وقد استعملها الكشيون اول مرة في بلاد بابل في مستهل الالف الثاني قبل الميلاد، والكشيون كما يعرف عنهم كانت الطبقة الارستقراطية منهم تتكلم لغة ارية، وكانت اسماء جماعة من ملوكهم والهتهم ارية صرفة، وقد وردت بغداد في الكتابات المسمارية اسما لموقع جغرافي في الازمنة التي تلت دور الكشيين ايضا، وكان اخر ذكر لها واردا في كتابة من نهاية الدور الاشوري في حدود القرن السابع قبل الميلاد.

وجاءت كلمة بغداد في الافيستا بمعنى (مخلوق اله) واستعملت اسما علما لاشخاص كانوا في الازمنة الفارسية منذ العصر الاخميني حتى الدور الساساني في ايران وغيرها من الاقطار.

ورأيناها ايضا مستعملة عند الاتراك بشكل (بغدان) وربما استعملت بصورة (باتي) اسما لشخص او لقبيلة في القرن الرابع عشر للميلاد.

وانا لا ادعى بأنني اول من ارتأى هذا الرأي في اصل (بغداد) ومعناها، فقد سبقني الى معرفة ذلك جماعة من المستشرقين، وذكر احدهم في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة (بغداد) ان اسم بغداد هو ايراني بلا شك فيه ومعناه (عطية الله)..

واذهب الى ابعد من ذلك فأقول ان من المؤرخين المسلمين القدماء والجغرافيين من كانوا قد فسروا اسم (بغداد) تفسيرا قريبا من الحقيقة، فقد ذكروا ان بغداد معناها (عطية الصنم) او (عطية الشيطان) او (عطية الملك).

ويبدو ان الالتباس الذي اصابهم كان سببه نسيان معنى (بغداد) في الازمنة التي سبقت اولئك الكتاب الاوائل، ولانهم قصروا فهمهم لكلمة (بغ) الفارسية على صنم فترجموا كلمة بغداد بـ(عطية الصنم)، ويحتمل انهم قصدوا بالصنم (الهة الفرس)، فلما فسروا بغداد بـ(عطية الصنم) ارادوا ان يقولوا (عطية الهة الفرس)..

ولم تكن صيغة اسم بغداد (عطية الاله) واستعمالها علما من الامور غير المألوفة في الازمنة القديمة، فقد اتخذ اليونان كلمة مقابلة لـ(بغداد) وهي تئودور في المعنى عينه وهو (عطاء الاله) وجعلوها علما لاشخاص، ويعرف بعض حكمائهم بـ(تئودور) عاش في نحو ٣٢٥ ق. م، وقد صاغوا ايضا اسما لامرأة بشكل تئودورا وتعرف بهذا الاسم الامبراطورية التي حكمت في نحو ٥٢٧م.

ويعرف عن احد ملوك الروم المدعو (تئودوسيوس) بانه شيد في عام ٤١٥م مدينة في اعالى الفرات اسماها باسمه (تئودورسيو بوليس) اي مدينة تئودوسيوس، فلو ترجم هذا الاسم الى اللغة الايرانية في الدور الساساني، لكان بغداد شهر، فان كان معروفا ان اشخاصا سموا باسم تئودور او تئودوسيوس قد اطلقوا اسماءهم على مدن شيدوها، فمن المرجح ان بغداد (عطية الاله) اخذت اسمها من اسم شخص.

ومن الاسماء التي تقابل (بغداد) في الفارسية الحديثة من حيث المعنى اسم (خداداد) وفي التركية (الله ويردي) وفي العربية (عطاء الله، عطية او هبة او هبة الله)..

هذا وان ماقمت به في هذا المقال لم اقتصر فيه على تثبيت معنى اسم (بغداد) واصله، بل بحثت فيه هذه الكلمة المركبة من جميع وجوهها، فتناولت كلا من شطريها واستقصيت اصله وتطوره وتراكيبه مع الكلمات الاخرى، فعلت كل ذلك لكيلا يبقى شك في المعنى الحقيقي لـ(بغداد)..

وقد تطرقت في اثناء بحثي الى اسماء اعلام كثيرة لاشخاص ومواقع والى كلمات اخرى، مما له علاقة بالموضوع، لان تلك الاسماء والكلمات قد شط فريق من الباحثين في تأويل معناها وتتبع اصلها، وفريق اهمل ذلك، وقد وضعت ما توصلت اليه في المقال، وفي ملحقات قفيت بها المقال.

وعسى ان يكون هذا البحث المستقصي خاتمة للاخذ والرد في المقال، والابرام والنقض في الجدال الدائر حول المعنى الحقيقي لكلمة (بغداد) واصلها اللغوي، فيزول به التبلبل الذي استفحل قرونا عدة منذ وضع ابو جعفر المنصور حجر الاساس لعاصمة ملكه الى يومنا هذا، ويحل محله الرأي الصحيح والقول الثابت.

مجلة المجمع العلمي العراقي
1950

معالم بغدادية

زاهر عبدالمجيد زيدان

بغدادنا الجميلة، العريقة، التي نحتفل بيومها، فيها كثير من اثار الاعجاز العربي، والاسلامي، منارة العالم، هكذا كانت بغداد، يوم كان كثير من اجزاء هذا العالم يغط في الظلام.

واذ نحتفل جميعا بيوم بغداد فانه ليحق لنا ان نعرف تواريخ واصول شواهد ودلالات الحضارة، التي تزدهر اليوم من جديد..

قامت في هذه المنطقة وقبل العصور العباسية بزمن بعيد مراكز حضارية مهمة، وماتزال الاثار شاخصة تدل على سمو ماضيها ومراحل تطورها عبر العصور.

ففي عام (١٤٥هـ - ٧٦٢م) اقام الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور مدينة الكرخ، عرفت باسم مدينة المنصور، كما عرفت باسماء كثيرة الزوراء، بغداد، المدينة المدورة، دار السلام، وعندما يطلقون على بغداد اسم مدينة الرشيد، فلأنها بلغت مكانة مرموقة في عهد الخليفة هارون الرشيد، والتي اعتبرها الباحثون في تخطيط المدن وفنون العمارة الانموذج العظيم للمدن.

وعدت بحق من مفاخر العرب الكبرى في مجال العمارة والفن والتخطيط الذي لامثيل له في ذلك العهد. واخذ الخلفاء والامراء العباسيون يتنافسون ويتسابقون في بناء بغداد واتسعت تدريجيا حتى شمل العمران الكرخ والرصافة فازدانت بالقصور والمباني الشامخة والرياض الغناء وعمرت بالمساجد الجامعة ودور العلم والمدارس الدينية والمعاهد العلمية فاضحت روضة القصاد للزوار والوفود ومركزا للاشعاع الفكري والمعرفة في مشارق الارض ومغاربها قرونا عديدة.

وهكذا توسعت بغداد وامتدت الى الجانب الشرقي (الرصافة) فقامت مدينة جديدة واقام الخليفة (المستظهر) سورا حولها، وخلفه خندق، وفي داخل السور دار الخلافة والقصور والاسواق وقد بوشر ببناء السور وابوابه في سنة ٤٨٨هـ وتم البناء في عصر الخليفة (المسترشد) سنة ٥١٢هـ ولبغداد من بقايا سورها ثلاثة ابواب.

باب السلطان وهو في باب المعظم، وباب الطلسم وهو مايسمى باب (الحلبة) ويقع في منطقة باب الشيخ وباب كلواذي، وكان موقعه بالقرب من الباب الشرقي اليوم وباب الظفرية وهو الباب الوسطاني وهو غير بعيد عن جامع الشيخ عمر السهروردي والمقبرة الملاصقة له.. سمي باب الظفرية نسبة الى (ظفر) احد خدم الخلافة العباسية كان يقع في محلة الظفرية وسمي فيما بعد بالباب الوسطاني لتوسطه سور المدينة.

والباب الوسطاني هو الاثر الشاخص الوحيد من بقايا سور بغداد الشرقي الذي شيد في عهد الخليفة المستظهر (٤٨٧-٥١٢) (١٠٩٤- ١١١٨م) وتم بناؤه في عهد الخليفة المسترشد وسمي بباب الظفرية- الوسطاني- وهو مؤلف من برج عال محزم بنطاق من الكتابة بالخط النسخي وببعض الزخارف المنقوشة على الاجر ويقطعه جزء من الخندق المائي العميق المحيط بالسور وفي عام ١٩١٧ نسف الجيش العثماني باب الحلبة – الطلسم خلال الحرب العالمية الاولى، حيث كان قد اتخذ مخزنا للبارود وقد جاء اسم هذا الباب الحلبة لكونه بني في مكان قريب من الساحة التي كان يقام عليها سباق الخيول، ومكانه في المنطقة التي قامت عليها محطة القطار في باب الشيخ ثم ازيلت للزحف العمراني.

وفي عام ١٩١٦ وعند انشاء شارع الرشيد تقرر هدم (باب السلطان- باب المعظم) لتوسيع مدخل الشارع وماتزال بقايا السور ملاصقة لقاعة الشعب حاليا وفي عام ١٩٣٧ وبعد فتح شارع الكفاح – غازي سابقا- جرى هدم باب الكلواذي الواقع في الباب الشرقي حيث ساحة التحرير.

وفي القرن التاسع الميلادي انشأ الخليفة هارون الرشيد مكتبة كبيرة اطلق عليها الخليفة (المأمون) ابن الرشيد اسم بيت الحكمة.

القصر العباسي او المدرسة الشرابية

تقع هذه المدرسة خلف وزارة الدفاع القريبة من الاعدادية المركزية للبنين حاليا، وهي من ابرز المعالم العباسية الشاخصة اليوم في بغداد وهو بناء فخم فريد في هندسته وتخطيط عمارته ويعود تاريخ تشييده الى فترة ضيقة من الربع الاخير من القرن السادس والثلث الاول من القرن السابع للهجرة.

ويذهب بعض الباحثين الى ان (دار المسناة) التي تنسب للخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥- ٦٢٢هـ) فيما يقول البغداديون ان المدرسة الشرابية التي شيدها شرف الدين اقبال الشرابي مقدم الجيوش في زمن الخليفة المستنصر بالله والمعتصم بالله العباسيين وتذكر المصادر التاريخية ان بناء المدرسة الشرابية قد اكمل في سنة ٦٢٨هـ ويتألف هذا البناء العباسي من طابقين يحيطان بصحن واسع مستطيل الشكل مساحته (٤٣٠م) ويتوسط الضلع الشرقي ايوان كبير ارتفاعه نحو (٩م) وتوجد مجموعة من الحجر والقاعات في كل طابق كما ان جميع واجهات البناية مزدانة بزخارف اجرية جميلة التكوين تتألف من عناصر هندسية وبنائية وابرز الحليات المعمارية تشاهد في الرواق الجنوبي.

مرقد السيدة زمرد خاتون (الست زبيدة):

يضم قبر السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بامر الله، وام الخليفة الناصر لدين الله العباسي، ويقع هذا المرقد حاليا في مقبرة الشيخ معروف قرب محطة السكة الحديدية وقد شيدتها زمرد خاتون قبل وفاتها (٥٥٩- ١٢٠٢م) لسنة واحدة، وقد ابدع المعمار البغدادي في تصميم بناء القبة حيث تفنن في استخدام الاجر بشكل مقرنص يتدرج من الاسفل الى الاعلى حتى ينتهي بنقطة عند قمة القبة ذات الشكل المخروطي وقد بنيت القبة التي تعلو المرقد على طراز القباب السلجوقية، وهي قائمة على ثمانية اضلاع. وقد نسب هذا المرقد خطأ الى السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد التي دفنت بمقابر قريش في الكاظمية.

مسجد الحظائر (مسجد زمرد خاتون):

يعرف اليوم بجامع الخفافين نسبة الى موضعه بسوق الخفافين وكان بالقرب منه موقع المدرسة النظامية الشهيرة، ويقع هذا المجسد على الضفة الشرقية من دجلة عند اسفل المدرسة المستنصرية شيد بناؤه بامر من زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله العباسي وقد ازيلت معالم بنائه ولم يبق منه الا المنارة التي تعتبر من اقدم المنائر البغدادية.

منارة جامع الشيخ معروف الكرخي:

تقوم هذه المنارة حاليا بجانب مرقد الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد وهذه المنارة تابعة لمسجد الجنائن شيدت في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٦١٢- ١٢١٥هـ كما تشير الى ذلك الكتابة الموجودة في باطن احدى الحلبات الزخرفية الموجودة في حوضها وهذه المنارة هي من اجل المنائر البغدادية وتمتاز بكثرة المقرنصات الايوانية والحليات الزخرفية عند حوضها والوانها الجميلة.

جامع قمرية:

من الابنية الضخمة التي شديها الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٢٦هـ- ١٢٢٨م وذلك على الضفة الغربية من دجلة بالقرب من ثانوية الكرخ، وقد انفق عليه اموالا ضخمة تقدر بثمانية عشر الف دينار، وتعرض هذا المجسد الى الدمار بسبب طغيان دجلة، واهم ماتبقى من معالمه منارته المشيدة بالاجر.

المدرسة المستنصرية:

تقع في الجانب الشرقي من بغداد عند رأس جسر الشهداء وتمتد جبهتها على ضفة دجلة، شيدها المستنصر بالله الخليفة العباسي السابع والثلاثون وانفق على بنائها حوالي (٧٠٠ الف دينار) ذهبا وانشئت عليها املاك كثيرة تقدر بمليوني دينار تدر عليها دخلا سنويا يقدر بسبعين الف دينار والمدرسة المستنصرية تعد اقدم جامعة في العالم من حيث تنوع مواضيع الدراسة فيها اذ كان يدرس فيها علوم القرآن والدين والفقه والفلسفة والحديث والعلوم التطبيقية كالطب والصيدلة والرياضيات وغيرها.

ظلت المستنصرية عامرة زاهرة ومؤئلا لطلاب المعرفة الذين كانوا يتوافدون على بغداد من مشارق الارض ومغاربها.

وبناء المدرسة مستطيل الشكل تبلغ مساحتها (٤٨٣٦) مترا مربعا ولها مسناة لحمايتها من فيضانات دجلة ويتوسط البناء ساحة مستطيلة يحيط بها طابقان بنائيان من جهاتها الاربع وفي كل منها عدد من القاعات والحجر، ويتوسط كل

ضلع ايوان فخم ارتفاعه يوازي ارتفاع الطابقين.
وقد خص كل ايوان بمذهب من المذاهب الاربعة تزين واجهات وابهاء المدرسة الزخارف البديعة والهندسية البنائية، وكانت المستنصرية تشتمل على جميع المستلزمات الضرورية كالمسجد وحجر الدرس والسكن والطعام وخزانة كتب عامرة قدرت بنحو ثمانين الف مجلد، ومستشفى وصيدلية، وساعة عجيبة ومخازن وحمام وبستان ومن ملحقاتها دار القرآن ودار الحديث.

×مرقد الشيخ عمر السهروردي:

يقوم في منطقة الشيخ عمر بجوار باب الظفرية (الباب الوسطاني) وبالقرب من مقبرة تعرف باسم مقبرة الشيخ عمر وهي المقبرة الوردية القديمة في مدينة السلام.
وهذا الجامع يعد من اقدم جوامع بغداد، وقبة قبر الشيخ شهاب الدين بو حفص عمر بن محمد البكري الصديقي السهروردي وكان عالما وفقيه زمانه وعلى قبره شيدت قبة على طراز القباب السلجوقية وهي مشابهة لقبة السيدة زمرد خاتون شيدت هذه القبة في سنة وفاة الشيخ عمر السهروردي سنة ٦٣٢هـ - ١٢٣٤م.

×مئذنة سوق الغزل- جامع القصر:

من اثار بغدد وهي اليوم في قلب مدينة بغداد وذلك في شارع الجمهورية عند رأس الشورجة في المحلة المعروفة بسوق الغزل وكانت هذه المئذنة تابعة لجامع القصر او مسجد دار الخليفة الذي شيده الخليفة المكتفي بالله العباسي سنة ٢٨٩هـ ٢٩٥م..
اما تاريخ اعادة تشييد هذه المئذنة فيرجع الى عام ٦٧٨هـ - ١٢٨٩م. في زمن اباقاخان بن هولاكو، وتتصف المنارة بخصائص فنية وعمارية خاصة فمنها قاعدة قوامها اثنا عشر مضلعا ومحيطها (٦٤. ٢٠م) ويقوم عليها بدن نصفه اثناء عشري والنصف الاخر اسطواني وارتفاعها عن سطح الارض نحو ٣٢م ويضم مدخلين يصل كل منهما الى سلم يدور في داخل البدن وباتجاه معاكس للسلم الاخر وقد شيدت المئذنة بالاجر والجص واستعملت مادة النورة والرماد في بنائها وبدن المئذنة محلى بزخارف اجرية تعتبر اية في الفن والدقة كما ذكرها العلامة الكبير جلال الحنفي.

×خان مرجان:

وهو من المعالم الاثرية الجلائرية ويقع في منطقة تجارية مهمة في مركز مدينة بغداد الشرقية وذلك في مدخل شارع السموأل عند رأس الشورجة شيده الوالي امين الدين مرجان حاكم بغدد في عهد السلطان اويس بن الشيخ حسن الجلائري سنة ٧٦٠هـ ١٣٥٩م وقد جدد بعد الاهمال وظل مهجورا حتى عام ١٩٣٥ عندما تملكته دائرة الاثار والتراث وبعد صيانته اتخذت منه مكانا للسياحة والراحة.

×المشهد الكاظمي:

من الاماكن المقدسة في بغداد مشهد الكاظمين في مدينة الكاظمية، وهي مدينة قديمة وكانت قبل تشييد مدينة بغداد تعرف (بالشونيزي) وهي تسمية عربية تعني الحية السوداء حسب ماذكره الباحثون ولما شيد المنصور مدينته المدورة جعل منها مقابر لاسرته واقربائه فسميت بمقابر قريش، وممن دفن فيها جعفر بن المنصور والخليفة الامين والسيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد والامام ابو يوسف والامام احمد بن حنبل.
ولما دفن فيها الامام موسى الكاظم ومن بعده حفيده الامام محمد الجواد نشأت حول مرقديهما بلدة عرفت بالكاظمية ويقوم فيها اليوم مشهد جليل قوامه بناء التربة والاروقة شيدت سنة ٩٢٦هـ - ١٥١٥م وزينت بزخارف من القاشاني وبحلة جديدة عليها نقوش نباتية وهندسية وكتابات بايات قرآنية، الى جانب الزخارف القديمة والبديعة المعمولة من المرايا والمعادن الثمينة كما طليت بالذهب والفضة من جديد وتقوم على القبرين قبتان ذهبيتان تحف بهما اربع مآذن كبيرة ومثلها صغيرة كما اضيفت اليها طارمات واواوين واكشاك واروقة وجددت ارضية الصحن بالمرمر.

×مرقد الشيخ عبدالقادر الكيلاني

يقع هذا المرقد في موضع محلة باب الشيخ وهذا المرقد كان في الاصل مدرسة شيدها ابو سعيد المبارك بن علي المخرمي الفقيه ثم جددها ووسعها من بعده تلميذه الشيخ عبدالقادر الكيلاني الذي اقام فيها حلقات الدرس وظل عاكفا بها حتى وفاته سنة ٥٦١هـ - ١١٦٥م ودفن فيها ثم شيدت على قبره قبة وفق الطراز السلجوقي ولكن السلطان العثماني سليمان القانوني هدمها سنة ٩٤١هـ وبنى على القبر قبة شاهقة واسعة وفريدة من حيث التصميم والحق بالبناء مرافق عديدة وبالقرب من الرواق تقوم منارة ضخمة غير مرتفعة.

×مرقد الامام الاعظم:

من المشاهد الاسلامية الجليلة في بغداد مرقد وجامع الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠هـ- ٧٦٧م وكان عالما وفقيه عصره ولما دفن في هذا الموضع الذي كان يعرف بمقبرة الخيزران اصبحت محلة محافظة بسور سميت بمحلة ابي حنيفة وهي اليوم مدينة واسعة تعرف بقضاء الاعظمية ومرقد الامام الاعظم مر بأدوار بنائية متعددة ففي سنة ٤٥٩- ١٠٦٦م جدد بناءه شرق الملك ابو سعد الخوارزمي في العهد السلجوقي واقام بجوره مدرسة للحنفية.

×جامع الحيدرخانة:

يقع في شارع الرشيد في المحلة المعروفة باسم الحيدرخانة وهو من الاماكن المهمة المتبقية من العهد العثماني شيده الوالي داود باشا ليكون مسجدا جامعا لمدينة بغداد وكان الانتهاء من البناء سنة ١٢٤٢هـ وشيدت فيه مدرسة وكان في سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٤١ شاهدا على احداث بغداد الحافلة بالمآثر الوطنية والقومية.

×جامع الاحمدية:

يعرف باسم جامع الميدان نسبة الى موقعه في ساحة الميدان بالقرب من باب المعظم ويعرف بالجامع الاحمدي نسبة الى مشيده احمد باشا كتخدا والي بغداد سليمان باشا الصغير، واكمل بناءه اخوه عبدالله بك سنة ١٢١١هـ كما تشير الى ذلك الكتابة المدونة على القاشاني التي تزين واجهة المدخل الغربي، وتوجد على المصلى الشتائي قبة شامخة مغطاة بالقاشاني الملون ولها مئذنة زينت بالقاشاني.

×جامع الاصفية:

يقع على الضفة الشرقية من نهر دجلة وذلك الى جوار المدرسة المستنصرية من جهتها الغربية وكان هذا الجامع دار القرآن التابعة للمدرسة المستنصرية واهم ماتبقى من معالمها ايوانها الكبير الذي يعد اية من ايات الفن المعماري وفي العهد العثماني قام بصيانته داود باشا والي بغداد ١٢٣٢- ١٢٤١هـ/ ١٨١٧- ١٨٢٦م واقيم في هذا الجامع مصلى واسع تعلوه قبتان وبجوارهما مئذنة زينت بالقاشاني.

×كنيسة الكلدان:

هي من اكبر الكنائس القديمة المتبقية في العراق وتعرف باسمها القديم كنيسة مريم العذراء (ام الاحزان) وتقع في محلة رأس القرية بالقرب من كنيسة اللاتين وكان تشييدها في عام ١٨٩٨ وبعد عدة سنوات الحقت بها طارمات فسيحة بديعة التكوين اذ انها تقوم على مساند ضخمة تتقدمها سلسلة اقواس متتالية.

×كنيسة السريان الكاثوليك:

تقع بجوار كنيسة الكلدان بمحلة رأس القرية قبالة منطقة الشورجة، وهي اول كنيسة شيدت للسريان الكاثوليك في بغداد في عام ١٨٤١هـ ودعيت باسم (مريم العذراء) وعلقت صورتها فوق المذبح، ولما اضحت لاتتسع لاداء الفرائض الدينية شيدت كنيسة جديدة في عام ١٩٦٢م.
×كنيسة الارمن الارثوذكس.
وتعرف باسم كنيسة (مريم العذراء) وهي من اقدم الكنائس القائمة الان في مدينة بغداد وموقعها في منطقة الميدان (بمحلة الكوك نذر) او محلة رأس الكنيسة وفي عام ١٧٤٤م صارت هذه الكنيسة الى الارمن الارثوذكس (بعد ان كانت في الاصل للنساطرة الكلدان) وبقيت للان تابعة للارمن الاثوذكس بالرغم من تشييد كنيسة جديدة لهم في عام ١٨٥٢ م وذلك في الشورجة عند رأس القرية وسميت باسم الثالوث الاقدس وتقام فيها اليوم الصلوات والمراسيم الدينية اما الكنيسة القديمة فتقام فيها المراسيم الخاصة بعد انتقال العذراء الى السماء وذلك مرة واحدة في كل سنة.

×المقاهي البغدادية:

الذين عاصروا العهد العثماني في العراق يقولون ان المقاهي البغدادية ومثيلاتها في بغداد كانت قهاوي طرف اذ لم يكن السهر في محلة بعيدة بالامر اليسير انذاك فكان رجال كل محلة يمضون الاماسي حوالي ساعتين يتناولون اقداح القهوة المرة ويتسلون بلعب الطاولي والدومينة اما في الصباح الباكر فكان البعض يذهب الى المقاهي ايضا لشرب القنداغ، اي الماء المغلي بالسكر، وربما شرب النركيلة ايضا وذلك قبل الذهاب الى اعمالهم ولم يكن الشاي قد شاع استعماله انذاك.
وكان المقهى يؤلف جانبا من تفاصيل الحياة البغدادية في الامس القريب والبعيد فهو المكان الذي ترتاده شرائح اجتماعية متنوعة وكان لكل مقهى رواده الذين تربطهم اعتبارات اجتماعية او مهنية وان كان ذلك لايعني بالضرورة اقتصار المقهى على زبائن معينين، ومن مقاهي بغداد في ايامها القديمة والقريبة مقهى الحاج المرحوم خليل القيسي في شارع الرشيد ومقهى البرلمان في شارع الرشيد ايضا،، ومقهى سبع، وكان موقعه في ساحة الميدان ومقهى وهب وهو الاخر في المكان ذاته ومقهى كلر وزير قرب باب المعظم ومقهى الامين قرب تمثال الرصافي ومقهى عزاوي البلدية في الميدان ومقهى البيروتي قرب الجسر القديم، في جانب الكرخ ومقهى فاضل العبيدي قرب الاذاعة والتلفزيون.
ومقهى اموري في كرادة مريم قرب جامع الشاوي ومقهى الصالحية ، الكريمات، ومقهى الشابندر بنهاية شارع المتنبي ومن المقاهي المشهورة ايضا في ذلك الوقت مقاهي (عقيل والعنبار) والمصبغة والمربعة وكان لكل مقهى مهنة خاصة تميزه فمقهى العنبار والمصبغة يعتبران بورصة السوق التجارية ومقهى (عقيل) يقدم لرواده اجود انواع القهوة العربية ومقهى ابراهيم عرب في الكرنتينة يرتاده الطلبة وحاليا انتقل الى راغبة خاتون.
وكان صاحب المقهى رحمه الله صاحب نكتة وشخصية اجتماعية معروفة والى ماقبل نصف قرن مضى كان مقهى العزاوي، في الميدان يسهر فيه الرواد من محبي المقامات البغدادية ومن المقاهي المعروفة في بغداد مقهى الزهاوي، لايختلف مقهى الزهاوي عن المقاهي الاخرى الا برواده فجلهم من لادباء والشخصيات الثقافية والسياسية ومن هنا جاءت شهرته ويكفي ان اسمه من اسم الشاعر جميل صدقي الزهاوي، تأسس قبل عام ١٩١٧ وقد ترجع الى اكثر من مئة عام ويطالب البغداديون عن طريق امانة العاصمة، والتي تعمل جاهدة لبغداد اجمل وانظف وكذلك وجود مقهى (النعمان) في الاعظمية ومقهى (شهاب) قرب جامع الاعظمية. ومقهى الجرداغ، في السفينة كذلك.

×الساعات البغدادية:

صنعت اول ساعة في بغداد في عصر (هارون الرشيد) وقدمت الى اوربا التي اصبحت بعد ذلك المصدر لها، ومن اشهر الساعات الموجودة في بغداد.
-ساعة الامام موسى الكاظم، ذات اربعة وجوه مدورة، وتدق الساعات والانصاف والارباع.
-ساعة الحضرة الكيلانية شيدها المرحوم السيد عبدالرحمن النقيب في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني.
-ساعة القشلة، التي بناها مدحت باشا عام ١٨٦٩م.
-ساعة الاعظمية، التي صنعها المرحوم (عبدالرزاق محسوب) هو منشئ الساعة البغدادية التي اشتهرت بين العراقيين بـ(ساعة المعرض) ففي عام ١٩٣٢ عندما اقيم في بغداد (المعرض الزراعي الصناعي) كانت هذه الساعة الكبيرة من ابرز معروضاته وفازت بالجائزة الاولى، وقد استغرق انجازها عشر سنوات.

الاثاري الراحل بشير فرنسيس:

كيف رأيت الآثار في بغداد؟

ان ماحل في بغداد، المدينة والعاصمة، وما اصابها من تبدل وتغيير خلال تاريخها الطويل قل ان نشاهد مثيلا له في مدن اخرى تضاهيها في الكبر وعظمة الجاه وعلو المنزلة فقد شيد الخليفة المنصور مدينة السلام المدورة، لتكون عاصمة الدولة العباسية في منطقة كانت تنتشر فيها منذ ازمان بعيدة القرى المزدهرة والبساتين المثمرة والزراعة الخصبة اليانعة ولاعجب في ذلك لان هذه البقعة المحصورة بين النهرين العظيمين والتي تتخللها الانهار الاخذة منهما كانت تزدحم بالناس لما توفره لهم اراضيهم المعطاء من اسباب العيش الرغيد. وما تمدهم به من خير عميم.

كانت من جملة القرى في هذه المنطقة بلدة صغيرة اشبه بالقرية تسمى (بغداد) في الزمن القديم وشاع هذا الاسم حتى شمل بعدئذ مدينة المنصور، ثم صار هذا الاسم يطلق على عاصمة بني العباس حين امتد عمرانها على جانبي نهر دجلة، وقد اصبحت بمرور الايام مدينة عظيمة الثراء هائلة القوة واسعة العمران تكثر فيها القصور وتزهو البساتين والحقول وتكتظ بالدور والاسواق.

ولم يبق الخلفاء وولاة عهودهم او وزراؤهم وقوادهم وكبار القوم شيئا سمعوا بجماله وحسنه وابداعه الا وادخلوه في القصور التي شيدوها او المساجد والمدارس والمارستانات التي انشأوها ولكننا اليوم لانعثر الا على النزر اليسير من الابنية التذكارية والجوامع الشهيرة، ذلك ان هذه المدينة العظيمة تراجعت القهقرى قوة وعمرانا وتتدنى الى درجة مثيرة من الضعف والفقر.

كانت بغداد منذ تأسيسها سنة ١٤٥هـ والى ان احتلها المغول سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وخلال حياتها الغنية بالاحداث وفي ايام عزها وسيادتها القلب النابض للعالم المتمدن من شرقه الى غربه ومركزا عالميا للدين وعاصمة عظيمة مهيبة للخلافة والدولة العباسية.

ثم تعاقبت عليها النوائب والمحن وتوالت عليها الكوارث فاذا بها ليست اكثر من عاصمة اقليمية للمغول ومن جاء بعدهم من الحكام الغرباء، ثم امست اخيرا مقرا وكرسيا للولاة العثمانيين، ولكن مع كل ذلك، حافظت هذه المدينة الحية على خصائصها المتميزة وصفاتها الجميلة الناطقة بماضيها الساحر ومجدها الغابر وسيادتها الغابرة ومن المفارقات الغريبة ان يكون تاريخ مدينة السلام وقصة مسيرتها في الحياة، قصة حروب تكاد تكون متواصلة ومنازعات وثورات اهلية، دع عنك ماكان يصيبها من اوبئة او يحل فيها من مجاعات، ولاشك في ان هذا كله هو بخلاف ماكان يؤمله مؤسسها، ونقيض ما كان يتمناه لها وهو يضفي عليها صفة (السلام)..

ان بغداد في الواقع من احسن الامثلة التي تضرب على تغير المدن، وعلى اثر العوامل الطبيعية والبشرية في زوال العمران واندراس الاثار فقد تضافرت على بغداد كوارث الطبيعة ويد الانسان فقضت على المعالم وقوضت ابنيتها الفخمة وذهبت بجمالها، فان طغيان دجلة في كثير من السنين غرق محلاتها المأهولة وبساتينها الغناء، وما احدثته نيران الحرائق والحرب والفتن من تدمير وتخريب، ازال الاثار وطمس معظم معالمها واضاع خططها، ولم يسلم الا القليل من تلك الابنية بل ان ماسلم من هذه الابنية صار نهبا مقسما بين الاهمال والاطماع مما زاد في تصدع جوانبه وتشويه بنيانه ومنظره وضياع بعض اقسامه ولكن مابقي من الاجزاء خير دليل على مابلغته الريازة في العصر العباسي من تقدم ورقي، وما توصل اليه اهل العراق من شأو رفيع في الفن والصناعة ولاسيما في الزخرفة والنقش والخط وما الى ذلك من فنون.

ودارت الايام دورتها وعادت بغداد الى حكم اهلها، وآلت امورها الى ابناء البلاد، وتسلمت الايدي الوطنية ادارة شؤونها ومنها الاثار فما كان ممن صار له القرار الا المبادرة الى بذل ما في الوسع من جهد ونشاط لانقاذ البقية الباقية من مآثر الاجداد والمحافظة على ماسلم من معالم رقيهم الفني والعمراني.

فوضعت الخطط اللازمة للسير عليها في ترميم المباني التاريخية المتصدعة واحياء المهجور منها واخراجها للانظار بثوب قشيب ومظهر قريب من حالتها الاصلية.

يتطلب ترميم الابنية الاثارية والتاريخية، وصيانة البقايا القائمة منها توفر المال والخبرة الفنية ومواد البناء اللازمة، اما المال فقد ارصدت الدولة بسخاء المبالغ الطائلة لهذا الغرض اذ اعتبرته من أوليات الواجبات القومية والوطنية، ولم تبخل عليه بأي شيء تستدعي الضرورة وجوده او ايجاده، واما الخبرة الفنية فانها لاتقل ضرورة عن المال بل بدونها لايمكن انجاز ما نبتغيه اذ ليس من السهل صيانة الابنية الاثارية في بلادنا، لانها تختلف في ازمنة انشائها ومشيدة من مواد بناء متنوعة وكل واحد منها له طرازه وريازته واشكال زخارفه ونقوشه مما يتطلب عددا وافرا من المختصين بهذه الاعمال وايجاد العمال الماهرين الممارسين لها او تدريبهم عليها، وهذا ما دعا المسؤولين عن الاثار الى عقد دورات تدريبية خاصة لهم لكي يتقنوا عمل مايعهد اليهم مثل حفر الزخارف الاجرية بانواعها والنقش على الخشب الجص بحيث تكون مشابهة للنماذج الاصلية التي يعثر عليها في جدران الابنية او بين انقاضها المتراكمة في داخلها، وذلك لاكمال مايجب اكماله من الزخارف الاصلية او غيرها.

فلا بد اذا من ان يتناول اي عمل من اعمال الصيانة الاثارية نواحي معينة اهمها تنظيف البناء من الاتربة ورفع الانقاض المتراكمة وازالة الاضافات المحدثة فيه وفحص الاسس في باطن الارض للتأكد من سلامتها من الرطوبة والاملاح والتآكل، لكي يمكن التعرف على اجزائه المختلفة ونوع المواد المستعملة في بنائه ودرس الخطة الواجب اتباعها عند تنفيذ الصيانة ثم يجب تقوية الجدران لوقف تداعيها وانهدامها، ومن المهم جدا الاعتناء بالطابع القديم للبناء حتى لايفقد اصالته وروعته وقيمته الفنية مع الحرص على ابقاء الشكل العام له دون ان يؤثر ذلك على متانته ومقاومة العوامل الطبيعية التي قد يتعرض لها.

قلنا قبل هذا، انه لم ينته الينا من ابنية العصر العباسي وما تلاه، الا عدد قليل، وكان معرضا الى الاهمال الشديد وسوء الاستعمال بل حتى مساجدها الجامعة الفخمة لم تبق على ماكانت عليه من جمال واتساع، وآل بعضها الى الخراب او الزوال وظل الامر كذلك الى ان تولى شؤون البلاد ابناؤها المخلصون الحريصون على تراث الاجداد وامجادهم فتناولتها يد الاصلاح والتعمير على النحو الذي سنبينه في هذا المقال.

من اقدم الابنية العباسية الباقية في بغداد مايسمى في وقتنا الحاضر بالقصر العباسي وهو بناء يطل على ضفة دجلة اليسرى في الزاوية الجنوبية الغربية من القلعة (وزارة الدفاع) ولقد تراكمت في داخله الانقاض واستحدثت فيه غرف وحيطان وسدت بعض ابوابه ومنافذه وفتحت ابواب غيرها عندما اتخذ العثمانيون قسما منه مخبأ

للعتاد الحربي.
فقامت دائرة الآثار بعد ان تولتها العناصر الوطنية في اواخر العقد الثالث من هذا القرن باتخاذ الخطوات الضرورية لانقاذ هذا الاثر النفيس من حالته المزرية، فرفعت من الانقاض ونفضت الاضافات التي لاتمت اليه بصلة، ومن ثم شرعت بالترميم والصيانة، واهتمت الدولة بذلك خاصة في السنين الاخيرة فارصدت المال الكافي لاحياء هذا البناء الفخم على مدى عدة مراحل الى ان استعاد عمرانه وجماله.
لانستطيع تحديد زمن هذا الاثر بصورة جازمة لخلوه من كتابة تدل على زمنه واسم بانيه، الا انه من مقارنة شكل بنائه وزخارفه وموقعه ارجعه بعضهم الى عصر الخليفة العباسي الناصر لدين الله (في عام ٥٧٦هـ ١١٨٠ واعتبره اخرون مدرسة اسسها الشرابي (شرف الدين اقبال) في سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) وهو الارجح.
والمدرسة المستنصرية مثل ناصع على ما اصاب الابنية التاريخية الباقية من الاهمال وسوء الاستعمال والاستغلال والتشويه فهذه البناية العظيمة الجليلة الواقعة على الضفة الشرقية لدجلة بالقرب من جسر الشهداء بين شارعي المأمون والمصارف قد اسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله في سنة ٦٢٥هـ وتكاملت في سنة ٦٣١هـ (١٢٣٤م) وهي مستطيلة الشكل طولها ٨٠/ ١٠٤م وعرضها عند ضلعها الشمالي ٢٠/ ٤٤م وعند ضلعها الجنوبي ٨٠/ ٤٤م يتوسطها صحن فسيح تحف به من جهاته الاربع الغرف والقاعات والدواوين وهي بطابقين الا ان القاعات والدواوين والمسجد بارتفاع الطابقين معا ويبلغ هذا الارتفاع عشرة امتار تقريبا، وزينت سقوف الدواوين وجدرانها بالزخارف النباتية والهندسية الجميلة دقيقة الحفر على قطع الاجر، ومن ملحقات المدرسة، الدار المجاورة ودار القرآن، ولم يبق منها غير ابوابها الحافلة بالزخارف الاجرية، وبني في القسم الاخر منها جامع الاصفية ايام العثمانيين، وزينت جدران المدرسة من الخارج بكتابات مزوقة جميلة قد تلف بعضها وتشوه بعض ماتبقى منها، وكلها تشيد بفضل الخليفة المستنصر وتاريخ انشائها واستمر التدريس فيها الى سنة ٩٤٠هـ (١٥٢٣م).
ثم استعملت لغير ذلك فصارت حصنا ثم تكية ثم خانا فدائرة للمكوس فمخزنا لملابس جنود الاتراك ثم اخيرا دائرة الآثار في اواخر العقد الرابع من القرن الماضي بهمة الغيارى م المسؤولين حينذاك، كما اتخذ الايوان الغربي حانوتا لعمل الكعك فطمس الدخان معالم زخارفه البديعة، واستحوذ الطامعون على بعض اجزائها بل ان بعضهم نقر في جدرانها ثغرات جعلوا منها دكاكين لبيع سلعهم، فكان ما الت اليه هذه المدرسة الذائعة الصيت حافزا قويا لوضع خطة شاملة لتخليص هذا الاثر الجليل من هذه الحالة واحياء جماله ومجده فارصدت الدولة المبالغ اللازمة لذلك واولتها ما تستحقه من عناية واهتمام وهاي هي المدرسة اليوم ترفل بشكلها الجديد وتستعيد مجدها الغابر.

وتشترك المستنصرية والقصر العباسي بالزخارف الاجرية البديعة التي تحلي الجدران وتزين سقوف الدواوين والممرات واقواس الاروقة ونهيب بالقارئ زيارتهما ليشاهد بأم عينه رقي الريازة العربية في زمانهما ويتمتع بروعة المنظر ودقة الصنعة وتنوع الاشكال الزخرفية والتناسق في تركيبها وترتيبها.
ومن بقايا بغدد العباسيين مايعرف اليوم بالباب الوسطاني وهو احد الابواب التي كانت في سور بغداد الشرقية وقد بدئ باقامته في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله في سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) واقيمت حوله في خلافة من جاء بعده مسناة لتقيه من تآكل مياه الخندق وقد ظل هذا السور قائما حتى سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠م) فهدم معظمه في تلك السنة بأمر مدحت باشا والي بغداد التركي حينما اراد توسيع بغداد وتعمير السراي، وكان في السور خمسة ابواب يطل احدها على النهر عند الجسر وليس له اثر الان، وتطل الاربعة الاخرى على البر وهي باب المعظم (باب السلطان) في قمسه الشمالي وقد هدم سنة ١٩٢٢م، والباب الوسطاني (باب الظفرية) ولايزال قائما، وباب الطلسم وهو باب الحلبة.. وقد نسفه الاتراك سنة ١٩١٧ عند خروجهم من بغداد في اواخر الحرب العالمية الاولى، والباب الشرقي وهو باب البصلية وكان يدعى ايضا باب كلواذى، وموقعه قرب دجلة في القسم الجنوبي من السور وظل هذا الباب قائما الى سنة ١٩٧٣ وقد هدمته امانة العاصمة لتوسيع المساحة هناك رغم اعتراض دائرة الاثار وبذلها ماوسعها من جهد للحفاظ عليه، اما السور نفسه فقد زال كما قلنا منه جزء في حديقة وزارة الدفاع وقد رمم واصلح حاله ومازال يشاهد شاخصا هناك.
اما الباب المعروف بالباب الوسطاني فقد تناولته يد التعمير والاصلاح واتخذته دائرة الاثار متحفا للاسلحة القديمة في سنة ١٩٣٨ وهو على ذلك الى اليوم يقع هذا الباب على مقربة من تربة الشيخ عمر السهروردي ويتألف من برج كبير نصف اسطواني يرتفع نحو ١٤،٥٠م عن سطح الارض يعلوه عقد مدبب وهو على شكل غرفة تعلوها قبة وفي جانبيها بابان للداخل والخارج وفي جانبها الغربي باب يؤدي الى قنطرة، وقد صمم هذا الباب بصورة تجعله منيعا من الناحية العسكرية على من يريد مهاجمته.
ومن العمارات الاثارية في بغداد الخان فخم البناء، انشأه امين الدين مرجان سنة ٧٦٠هـ (١٣٥٨)م ويقع بين سوق البزازين وشارع السموأل وله بابان احدهما يشرع على السوق والاخر على الشارع وهو المدخل اليه وكان من اوقاف المدرسة المرجانية (جامع مرجان) كما نصت عليه الكتابة التي فوق احد البابين وقد رممته دائرة الاثار واصلحته بحيث جعلته دارا للاثار العربية ثم نقلت تلك الاثار الى اماكن اخرى اصلح لعرضها ويعد هذا البناء فريدا في عقادته المعقودة على اقواس واسعة العرض تستند الى جدران ثخينة متينة البنيان.

مجلة المورد 1978

انطباعات رحالة ومبشر عن بغداد عام 1829 م

قبل مئة وواحد وعشرين عاما قام المبشر انطوني نوريس كروفز بزيارة الى بغداد، استغرق الطريق اليها من انكلترا الى بغداد اربعة اشهر قطع فيها ١٤٠٠ ميل.. ونظرا، لطرافة المعلومات التي وردت في كتابه عن بغداد واهل بغداد في تلك الفترة الحالكة، حيث الجهل والفيضان والمجاعة ومرض الطاعون، كما اقتبست صورة رسمت باليد لاحد معالم بغداد، فقد رأيت ترجمة القسم الخاص ببغداد.
غادرت البعثة التبشيرية الانكليزية انكلترا والتي يرأسها المبشر انطوني نوريس كروفز في طريقها الى بغداد في البداية استقلت يختا يعود الى شخص اسمه باجيت حيث سيوصلهم الى مدينة بطرس بيرج لينين كراد ثم يبيع اليخت في بورت سموث وكان يصحب معه ولديه مع شاب ايرلندي يدعى باثي، جون كيتو وهو صبي اصم ابن احد المبشرين الفقراء، والذي صار صديقا لكروفز وبعدها اصبح المؤلف المشهور لكتاب الانجيل المصور لكوتو، وكانت معهم لميديا كروفز شقيقة انتوني ثم الانسة تيالور والسيدة تايلور زوجة المقيم البريطاني في بغداد.
كان هذا في ١٢ حزيران ١٩٢٩ وبدأ اليخت رحلته من كرفزنت الى روسيا وقد بدأ المستقبل مشرقا، وقد سلموا امرهم الى الباري تعالى في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر والتي استغرقت من سانت بطرس بيرج لبغداد اربعة اشهر لقد عاد الى انكلترا كل من بارنيل وباجيت والانسة كروفز وبقي ٨ اشخاص ليكملوا الرحلة.. وكان الطريق لايصدق امام الصدمات والمشكلة الاخرى هو ركوب الخيول من دون اسرجة مما يسبب الكثير من الازعاج ووسائل الاقامة معدومة وغير مريحة ولعدة ليال كان المسافرون يتدثرون بثيابهم.
ولذلك لحمايتهم من لسع البعوض وكنا نحصل على ماء الشرب من مياه الامطار، وهنالك خطر اللصوص، ومشاكل الطعام والمحافظة على الخيول من السرقة مما قد يعطل سحب العربة كل ذلك مجتمعا سبب التوقف عن مواصلة السفر، ولكن انتوني كروفز صمد بوجه هذه العقبات جميعها لغاية وصوله نهاية الرحلة وحينها شكر الرب على حمايته من رحلته الطويلة هذه والتي قطع فيها ١٤٠٠ ميل.
وقد وصل الى بغداد بتاريخ ٦/ كانون الاول ١٨٢٩م وكان اكثر ما يزعجه هو حرها الشديد الذي لايطاق، وفي الوقت نفسه اخذ يتعلم التكلم باللغة العربية، ثم شرع في تأسيس مدرسة للاولاد كذلك شرع في تأسيس مستوصف لمعالجة الاسنان مجانا، ومعالجة امراض التراخوما التي كانت متفشية ووصف النظارات الطبية وكانت الحالات المرضية تزداد حتى ظهر على السطح مرض الطاعون والفيضان والمجاعة والمرض والحرب الاهلية او السرقات، والمحرومون من الزوجات والاولاد.. والمئات من المشردين من الاطفال والمعوزين.
وفي وسط هذه الاجواء مجتمعة، استطاع كروفز ان يستمر في ادارة المدرسة للاولاد وسط عزيمة لاتكل في جو مملوء بالمخاطر والالام حيث معظم الرجال مضمورين وقد وجد كروفزان يتوجه الى الله لطلب الرحمة بعد ان هلك كل شيء على الارض وشعر ان ذلك غير ممكن العمل مع هذا العدد القليل الباقي على الارض وان ينفذ رسالته التبشيرية التي تلاقي الكثير من العقبات والصعاب، واستعان بالله لكي يعطيه ما يحتاج اليه لهؤلاء في المدرسة من معلمين وعاملين وهكذا قضى قرابة اربع سنين في بغداد وكأنها قصة ملحمية بطولية طويلة، ولكن ذلك لم يعق الجمعية التبشيرية في تقديم خدمة الله، ونحن لانملك شيئا غير الايمان بالله، وكنت قد اعتمدت على اثنين من الانبياء الاول النبي ايليا ونوح في المواعظ التبشيرية التي كنت القيها في الايام الاولى، على الرغم من الازدراء الظاهر ضد البعثة التبشيرية.
وقد تعلم دروسا من هذه الملابسات وغيرها من تلك التي لا تخطر على بال، وبالممارسة استطاع ان ينفذ مخططه باحكام من اجل تطبيق رسالته الخدمية.
وفيما بعد رشح للعمل في البعثة التبشيرية في الهند وكان هذا الترشيح قد تم في بغداد من قبل الكولونيل فيما بعد الجنرال السر، ارثركوتن والذي كانت الهند بحاجة الى خدماته.
وهكذا كان ان قام بزيارة الهند عام ١٨٣٣ وعمل في عدة اماكن هناك وذلك بعد ان ترك ابنه وبقية اعضاء البعثة التبشيرية في بغداد وهكذا اغلق على هذا الفصل والذي امتد عشرين عاما وخدماته كانت مكرسة للهند.

جريدة المنار ـ 1966
ترجمة حازم باك

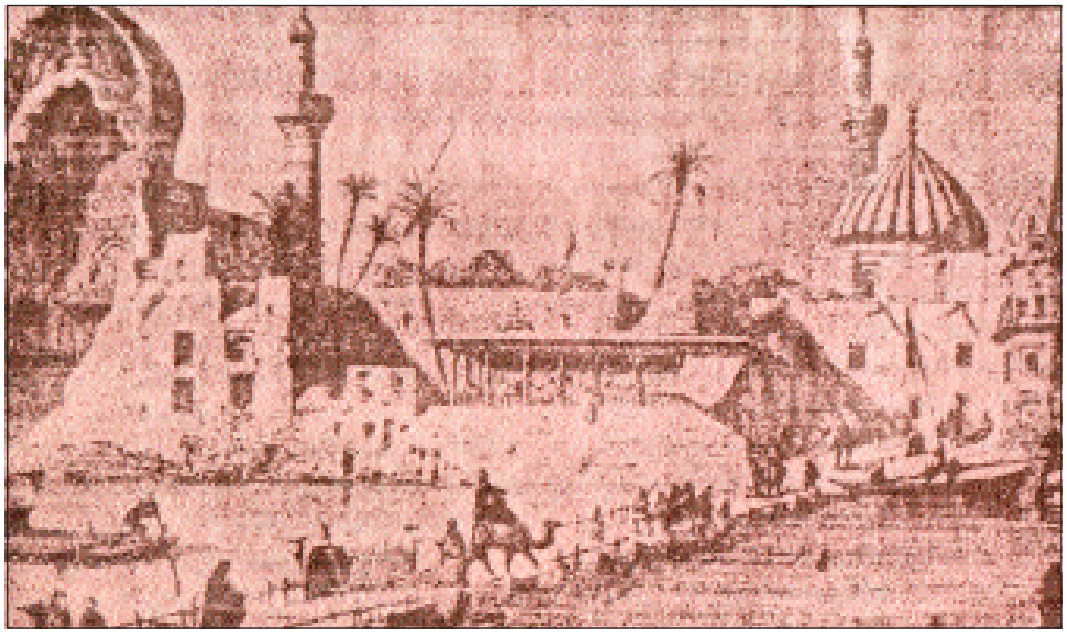

ان بغداد في الواقع من احسن الامثلة التي تضرب على تغير المدن، وعلى اثر العوامل الطبيعية والبشرية في زوال العمران واندراس الاثار فقد تضافرت على بغداد كوارث الطبيعة ويد الانسان فقضت على العالم وتوضت ابنيتها الفخمة وذهبت بجمالها .

بغداد بين الأمس واليوم . .

جمال بابان

اصل اسم بغداد

ورد ذكر اسم بغداد في وثيقة قانونية ترتقي الى زمن حمورابي عثر عليها في (سبار- ويعرف موقعها اليوم بتل ابي جثة على بعد ٥٠ كيلومترا شمال غربي بابل).. وورد اسم (بيلازي) على شاطئ نهر الملك في اقليم بغدادي في حجر من احجار الحدود وهي احجار مخروطية الشكل مقسومة على عدة حقول وعلى وجهها رسوم لرموز الالهة وتعتبر هذه الاحجار احداثا مهمة في تاريخ فن النحت في بلاد وادي الرافدين في عهد الكاشيين من زمن الملك الكشي نازي رمارتاش ١٣٤١ ق.م.. وجاء الاسم في حجر حدود اخر، عثر عليه قرب طيسفون يرجع تاريخه الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد والاسم لارض واقعة قرب مدينة بغداد.

وورد في اخبار حروب الملك الاشوري (ادد- نيراري الثاني) انه حارب الملك البابلي نبشتم -اكن وكانت بغداد من جملة المواضع التي نهبها كما ان الملك الاشوري ثكلات بلاسر عدد القبائل الارامية التي قهرها عام ٧٢٨ ق.م فذكر بينها قبيلة منسوبة الى موقع يدعى (بغدادو).

يظهر مما تقدم ان اسم بغداد يرتقي الى الالف الثاني قبل الميلاد (على اقل تقدير)..

نعود الى بيان رأي للمرحوم يوسف رزق الله غنيمة الذي كان في يوم ما وزيرا للمالية قال: ان لفظة بغداد ارامية قالها بكل تحفظ مبنى ومعنى وفي رأيه ان الاسم مؤلف من كلمتين (ب) المختصر لكلمة (بيت) او (بيث) التي تقع في اوائل اسماء المدن مثل بعقوبا (بيت عقوبا- بيت الفاحص او المتشخص) وبعشيقا (بيت عشيقا - بيت المحب). واللفظة الثانية (كدادا) بمعنى غنم او ضان فيكون بكدادا مدينة او دار او بيت الغنم والضان، ويستند في ذلك على ان الاراميين كانوا فلاحين في هذه الديار ويربون المواشي.. وقد رد السيد (رزوق عيسى) في مجلة لغة العرب لسنة ١٩٢٦ على ذلك بمقال تحت عنوان (معنى كلمة بغداد) جاء فيه (لما كنت احد الكتاب الذين نقبوا عن معنى هذه المفردة في كتب الاقدمين والمحدثين ونشروا بعض ارائهم.. ارى ان كلمة بغداد ليست مقتضبة من (بيت كدادا) وعندي ان بغداد مصحفة عن (بل دودو) او (بل دادا) ومعناها ان مدينة الاله المحبوب لان (بل) تفيد معنى (البعل) اي (الاله) عند الاقدمين وبمعنى الحبيب والمحبوب.

كما ان المرحوم توفيق وهبي رد على الاستاذ يوسف غنيمة بقوله ان اسم بغداد ليس بارامي لان الثابت في التاريخ ان الاراميين لم تطأ اقدامهم ارض العراق بل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، في حين وجدت اثار مرموقة تبرهن انه كان على عهد الملك حمورابي (١٨ ق.م) مدينة في مملكته مسماة باسم (بكداد) ثم ان حجرا من حجارة الحدود يعود تاريخه الى عهد الملك الكشي (مارتاش) كتب فيه (بكداد) وكان حكمه في النصف الاخير من القرن الرابع عشر ق.م ويفسر الاستاذ وهبي ان بغداد يتكون من مقطعين الاول (بغ- بكد) بمعنى الالهة و(داد) بمعنى عطية في اللغات القديمة وان الاسم طرأ عليه تحويرات عديدة الى ان استقر على وضعه الحالي (بغداد) ومعناه عطاء الله او هبة الله باللغة العربية و(خدا داد) في اللغة الفارسية و(الله ويردي في اللغة التركية) و(يه زدان به خش في اللغة الكردية)..

اذا فاسم بغداد قديم يرجع الى زمن الملك البابلي حمورابي (القرن الثامن عشر قبل الميلاد)..

اصل اسم الكرخ

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان ان (كرخايا: نهر كان ببغداد ياخذ من نهر عيسى تحت المحول حتى يمر ببدائثا فيسقي رستاق الفروسيج الذي منه بغداد نفسها، قال الخطيب: ويحمل من نهر عيسى بن علي نهر يقال له كرخايا تتفرع منه انهار تدخل بغداد في موضع يقال له باب ابي قبيصة وتتفرع من كرخايا انهار عدة في سوق الكرخ لا اثر لها الان البتة منها، نهر الدجاج.

اما عن الكرخ نفسها فيقول ياقوت (الكرخ وما اظنها عربية انما هي نبطية، وهو يقولون كرخت الماء وغيره من البقر والغنم الى موضع كذا جمعته فيه في كل موضع وكلها بالعراق).

اما الاستاذان بشير فرنسيس وكوركيس عواد فقد ذهبا الى ان اللفظة يونانية الاصل من (كراكس) عربت قديما بكلمة كرخ وتعني مكانا مسيجا،، وقد عرفت بهذا الاسم امكنة متعددة، من ذلك كرخ بغداد وكرخ سامراء وكرخ باجدا وهي بمعنى (الدور) و (الدير) او كل ماكان حوله سور او سياج، ومنها لفظة (الجرخ) اي العجلة والجراخ والجرخجي وكل ذلك فيه الاستدارة والدروان.

ومما تجدر الاشارة اليه، ان الكرخ كانت قرية قديمة وكانت في بعض مواقع كرخ العباسيين وكان يمر بالقرب منها نهر (الصراة) ونهر (الرفيل) الذي عرف بعد انشاء مدينة المنصور بنهر عيسى بن علي العباسي.

اتصلت عمارة الكرخ واسواقه بقرية سونايا الارامية التي سميت بالعتيقة لتقدمها عصرا على مدينة المنصور واتصلت من الجنوب بموضع الديارات النصرانية الغربية كـ(دير كليليشوع) والدير العتيق واتصل من الجنوب بقرية قطفتا من القرى الارامية العتيقة وكانت في محلة (المشاهدة) الحالية وهي الارض التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي، ومقبرته عرفت بمقبرة الدير.

وقد ورد في دليل خارطة بغداد ان (قرية الكرخ) كانت من اهم القرى التي تناقل المؤرخون اسماءها من العهد القديم وهي القرية التي نسبت اليها محلة الكرخ الواسعة التي انشئت غربي بغداد في العهد العباسي حتى اخذ يعرف غربي بغداد كله باسم الكرخ في الزمن الاخير.

ورد في اخبار حروب الملك الاشوري (ادد- نيراري الثاني) انه حارب الملك البابلي نبشتم -اكن وكانت بغداد من جملة المواضع التي نهبها كما وان الملك الاشوري ثكلات بلاسر عدد القبائل الارامية التي قهرها عام 728 ق .م فذكر بينها قبيلة منسوبة الى موقع يدعى (بغدادو) .

اصل اسم الرصافة

يقول ياقوت الحموي (ان الرصافة بضم اوله، مشهور ان لم يكن اشتقاقه من الرصف وهو ضم الشيء الى الشيء كما يرصف البناء فلا ادري ما اشتقاقه ويقول في رصافة بغداد لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي واستتم بناءها امر ابنه المهدي ان يعسكر في الجانب الشرقي وان يبني له دورا فيه وجعلها معسكرا فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور).

وعرفت الرصافة عند انشاء مدينة بغداد بعسكر المهدي كما اسلفنا.

الا ان الرصافة كمحلة من محلات بغداد الشرقية كانت قرب تربة الامام ابي حنيفة (الثابت بن نعمان – الامام الاعظم) من الجنوب وكانت مسورة ولها ابواب خاصة بها ويفصلها عن محلات بغداد الشرقية الاخرى مواضع ومزارع وبساتين، كالبستان الزاهر والمخرم.

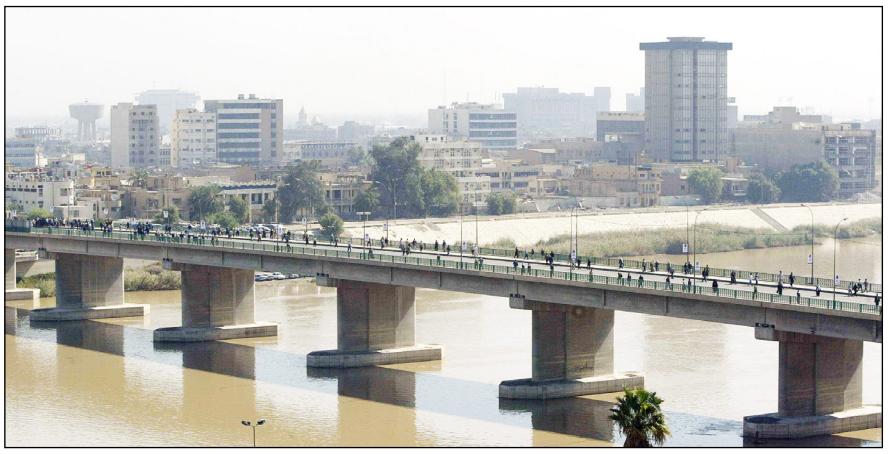

اصول بعض الاسماء القديمة الاخرى

-الاعظمية: محلة من محلات الجانب الشرقي من نهر دجلة في شمال الرصافة (في بغداد) وقد سميت كذلك نسبة الى الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الحنفي الذي عاصر المنصور عند انشائه لمدينة بغداد تدل الروايات التاريخية على ان موضع الاعظمية كان مقبرة عامة في العصر العباسي تعرف بمقبرة (الخيزران) ولما توفي ابو حنيفة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧م) دفن في هذه المقبرة، وفي سنة ٤٥٩هـ بني مشهد وقبة على قبره كما بني عنده مدرسة كبيرة، وقد سميت المحلات الواقعة في جوار المشهد باسم (الاعظمية).

يقول العلامة الشيخ هاشم الاعظمي: ان الاعظمية كانت قبلا مقبرة للمجوس وتسمى ايضا الحضرية وذكر الكامل فقال توفي ابو حنيفة عام ١٥٠ هـ وتوفيت سنة ١٧٣هـ الخيزران ودفنت الياقوتية بنت المهدي وقد نسبت المقبرة للخيزران لانها زوجة خليفة وو الدة خليفتين..

-براثا: اسم جامع في الوقت الحاضر في الجانب الغربي من بغداد على شارع موسى الكاظم قرب جسر الصرافية اما قرية براثا القديمة فيرتقي عهدها الى ماقبل انشاء بغداد وكان لهذا الموضع شهرة واسعة قبل الاسلام الى ان انتهى امره باندماجه مع بغداد فيما بعد.

تقع قرية براثا وجامعها التاريخي المشهور في صدر نهر كرخايا وهي قرية قديمة كانت في هذا الموضع قبل انشاء بغداد.

اسم براثا في اللغة الارامية (برثيا) ومعناه الخارج، او من (بروا ثا) ومعناه الاقصى والابعد.

ان جامع براثا اليوم هو جامع المنطقة وكان يعرف بمشهد العتيقة (سونايا).

-الخلاني: ساحة في بغداد في الوقت الحاضر على شارع الجمهورية قرب ساحة الباب الشرقي.

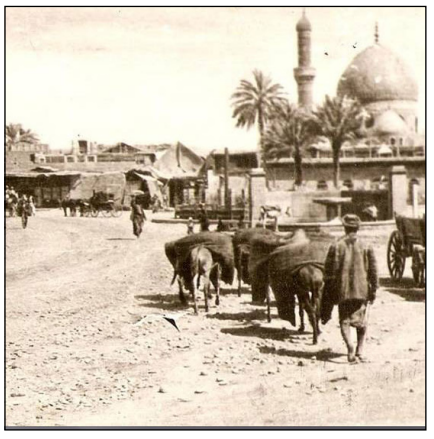

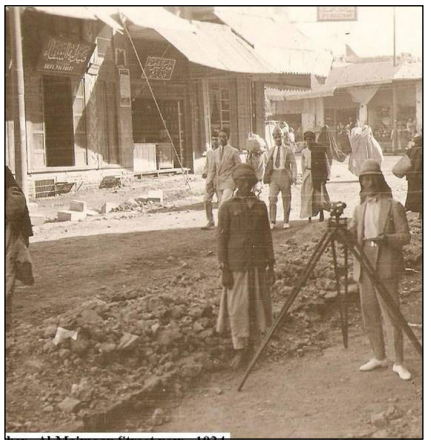

يقول المرحوم الدكتور مصطفى جواد: في خلافة الطائع لله العباسي (٣٦٣هـ – ٣٨١هـ) استحدث باب جديد باسم ذلك الباب (يعني باب الخاصة) وكان الخليفة نفسه هو الذي احدثه قال ياقوت الحموي (باب الخاصة) كان احد ابواب دار الخلافة المعظمة في بغداد احدثه الطائع تجاه دار الفيل وباب مكواذي واتخذ عليه منظرة تشرف على دار الفيل وبراح واسع واتفق ان كان الطائع يوما في هذه المنظرة فجوزت عليه جنازة ابي بكر عبدالعزيز بن جعفر الزاهد المعروف بغلام الخلال، فرأى الطائع فيها ما اعجبه فتقدم بدفنه في ذلك البراح الذي تجاه المنظرة وجعل دار الفيل وقفا عليه.

ويقول الدكتور مصطفى جواد: ان غلام الخلال هذا هو المعروف قبره اليوم بقبر الشيخ الخلاني بشارع رأس السابقة من محلة باب الشيخ عبدالقادر الجيلي (الكيلاني) وقد سماه بعض الناس محمد بن عثمان السمان المتوفى سنة ٢٠٥هـ فاضل بذلك العوام اما الخطيب البغدادي فذكر انه ابو بكر عبدالعزيز جعفر بن احمد بن يزداد بن معروف الفقيه الحنبلي وانه ولد سنة ٢٨٢هـ.. له مصنفات حسنة في فقه الحنابلة منها المقنع في نحو من مائة جزء وكتاب الشافعي في نحو من ثمانين جزءا وزاد المسافر وكتاب الخلاف مع الشافعي وكتاب القولين ومختصر السنة وكتب غيرها.

-الشيخ معروف: محلة كبيرة وشارع ومقبرة في القسم الغربي من بغداد (جانب الكرخ) وهناك تربة وجامع معروف بهذا الاسم ايضا نسبة الى الشيخ معروف الذي هو من مشاهير الزهاد، وكان معاصرا لهرون الرشيد (١٧٠– ١٩٣هـ) واشتهر عنه انه كان من جملة المشهورين بالورع يقال ان ابويه كانا نصرانيين فاسلماه الى المؤدب فقال له: ان الله ثالث ثلاثة، فقال بل هو الله احد، فضربه فهرب واسلم على يد علي بن موسى (رضـ) ورجع الى ابويه فاسلما، توفي سنة ٢٠٠هـ (٨١٦م) ودفن في موضع تربته الحالية التي كانت تعرف بمقبرة باب الدير، ولعلها سميت بذلك نسبة الى الدير الذي كان في جوارها وهو الدير الذي يعرف سابقا باسم (دير الجاثليق) وكان يسمى ايضا (دير كليليشوع).

ان الشيخ معروف كان من موالي الامام علي بن موسى الرضا، ولد مسيحيا وقيل مجوسيا، ثم اعتنق الاسلام، وكان قد انشئ مسجد عند مقبرة باب الدير باسم مسجد الجنائز وهو غير مسجد معروف الكرخي الذي كان على دجلة في محلة قصر عيسى ثم خرب بغرق سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م).

-الكاظمية: في الجانب الغربي من بغداد، مقابل محلة الاعظمية التي يربطها بها جسر الائمة الذي جعل محل الجسر الخشبي الذي نقل سنة ١٩٥٧ الى النعمانية، بلدة الكاظمية احدى المدن المقدسة في العراق، حيث يقع فيها المشهد الكاظمي الذي يضم ضريحي الامامين

موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام، ويقال ان المنصور كان اول من جعل هذا الموضع مقبرة لما ابتنى مدينته المدورة في جواره من الجنوب ثم صارت تدعى بالكاظمية نسبة الى الامامين الكاظم والجواد (ع) اللذين دفنا بها سنة ١٨٣هـ و ٢٢٠ هـ (٧٩٩ و ٨٣٥م) على التوالي، وكانت هذه الترب تسمى قبل ذلك (مقابر قريش) كما كانت تدعى (مقبرة الشونيزي الصغير) لتمييزها عن مقبرة الشونيزي الكبير،، التي دفن فيها الشيخ جنيد.. ولايزال القسم الغربي من صحن المشهد يسمى (صحن قريش) الى اليوم ويروي المؤرخون ان زبيدة زوجة هرون الرشيد وقد توفيت سنة ٢١٦هـ (٨١٣م) وابنها الخليفة الامين دفنا في هذه المقبرة ايضا ودفن فيها ايضا الاميران البويهيان معز الدولة المتوفى سنة ٩٦٧م وجلال الدولة المتوفى سنة ١٠٤٤م.. كما دفن فيها الكثير من الوزراء والاعيان والسادة والعلماء.

دور بغداد في نشر العلوم والفنون والتنمية- عبر تاريخها الطويل

لقد وصلت بغداد في عهد الرشيد والمأمون والمعتصم والمكتفي الى قمة مجدها وازدهارها، فامتدت الابنية في الجانبين الكرخ والرصافة امتدادا كبيرا حتى صارت كانها مدن متلاصقة، وبلغ سكانها نحوا من مليون نسمة، واصبحت مركزا للحضارة العالمية والتمدن الاسلامي ومقرا للعلوم والفنون والاداب وزهت بالعلماء والادباء والشعراء والكتاب والمترجمين وارباب الفنون والصناعات المختلفة فانشئت فيها المراصد الفلكية والمدارس وخزائن الكتب والمستشفيات والمعامل والمشاهد حتى كان فيها يومذاك عدد غير قليل من مواضع الدراسة العالمية ومئات الكتاتيب الابتدائية عدا المعاهد التي انشئت لتدريس علوم الدين في كل مسجد من مساجد بغداد.

لقد انشأ الرشيد مجمعا علميا راقيا ودع فيه خزانة واسعة للكتب جمع فيها كتبا في علوم مختلفة بلغات مختلفة مما جمعها جده المنصور وابوه المهدي ومما عثر عليه هو وقد سمى هذا المجمع العلمي بيت الحكمة او دار الحكمة وكان يجتمع في هذا المعهد العلمي المترجمون والعلماء والكتاب والادباء للترجمة والمطالعة والمناظرة وقد ترجمت فيه كتب كثيرة في علوم مختلفة وقد وسع المأمون هذا المعهد وافرد فيها لكل علم رواقا، فازدحم في عهده عليها العلماء وكبار المترجمين ورجال التأليف، فمن المترجمين المشهورين يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون وقد تولى ترجمة كتب ارسطو طاليس وترجم (حنين بن اسحاق) كتب ابقراط وغيره، فترجم ابن البطريق كتاب الحيوان من اللغة اليونانية الذي الفه ارسطو طاليس وقد انشأ المأمون مرصدا فلكيا وعهد بادارته الى سند بن علي اليهودي الذي اسلم على يد المأمون وورد اسم العباس بن سعيد الجوهري كمنجم وكخبير بصناعة التسيير وحساب الفلك، واسم محمد خالد بن عبدالملك المروروذي ويحيى بن ابي منصور، وكان سهل بن هارون يتولى ادارة المعهد الفلكي ويشرف على خزانة كتب المأمون الخاصة وقيل ان يحيى بن ابي منصور الموصلي ومحمد بن موسى الخوارزمي كانا من خزنة دار الحكمة المأمونية كما كان الصنوبري الحلبي والفضل بن نوبخت وعلان الشعوبي وابناء شاكر وغيرهم يترددون الى هذه الدار للمطالعة او النسخ والترجمة او التأليف وقد روي ان المأمون بعث الى حاكم صقلية يطلب مكتبة صقلية الغنية بكتبها الفلسفية والعلمية ليضمها الى خزانة بيت الحكمة، وذكر ان المأمون نقل من خراسان الى بغداد حمل مئة بعير من الكتب الخطية النفيسة فضمها الى خزانة بيت الحكمة وكان المأمون قد عني عناية خاصة بحركة النقل والترجمة فطلب من ملك الروم الاذن في ارسال بعض علمائه لترجمة الكتب المفيدة المخزونة في بلد الروم فاجابه الى ذلك فارسل المأمون لذلك جماعة منهم الحجاجد بن مطر وابن البطريق ويوحنا بن ماسوييه وحنين بن اسحاق وغيرهم وامرهم بنقل مايقدرون عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربية واصلاح ما ينقله غيرهم، وقد جعل المأمون حنين بن اسحق رئيسا لديوان الترجمة وكان حنين يجيد اربع لغات، السريانية والعربية والفارسية واليونانية، وقد نقل حنين الى العربية عددا كبيرا من الكتب اليونانية والسريانية والفارسية.

كان في بغداد اكابر العلماء والفنيين والاطباء والفلاسفة وانقسمت بغداد يومذاك الى عشرات المحلات لكل محلة شوارع ومساجد وحمامات وكانت فيها معامل مختلفة منها للنسيج والحياكة وطاحونات وشركات تعمل في تجارة المحصولات العراقية وقد ارسل الخليفة الرشيد مع وفد (شارلمان ملك فرنسا) الذي زار بغداد سنة ١٩٢هـ بهدية فاخرة الى الملك من مصنوعات بغداد منها سرادق كبير من الحرير وساعة كبيرة دقاقة وبسط ديباج وشطرنج من العاج.

يقال ان عدد المعاهد المختلفة في عهد المأمون بلغ ثلثمائة واثنين وثلاثين معهدا كلها كانت غاصة بطلاب العلوم والفنون، وكانت المستشفيات التي تسمى (البيمارستانات والمارستانات) مكتظة بالاطباء والتلاميذ.

وان عددا من العلماء (وكانوا سبعين رجلا من فلاسفة العراق) الفوا للمأمون كتابا في الجغرافية اعان اعمال الدولة على تعرف البلاد والامم التي كانت خاضعة للدولة العباسية، وقام هؤلاء العلماء بمسح الارض وقد اختاروا لهذا الغرض درجة من الحساب البطليموسي وقدروا بموجبها مساحة الكرة الارضية.

في حوار اجري معه اخر ايام حياته

عاشق بغداد يتحدث عنها

اتمنى اعادة (طوب ابو خزامة) والمحافظة على الجزء المتبقي من سور بغداد

محمود هادي العبوسي

للذكريات طعم خاص وخاصة عندما يتحدث عنها اصحاب الذاكرة والذين يؤرخون جانبا من حياتهم الخاصة او حياة مدينتهم التي يعتزون بها واليوم يتحدث شاهد من اهلها.. انها مناسبة للذكرى ومناسبة للحديث عن الماضي الجميل للمدينة الجميلة.

السيد امين المميز يعود بنا من خلال هذا الحوار الذي استذكر فيه بغداد القديمة كيف كانت وكيف عاش البغداديون فيها..

×الاستاذ امين المميز: انت من قدامى البغداديين، فهل لك ان تحدثنا عن النواحي الاجتماعية في بغداد ايام زمان؟

-الحياة الاجتماعية في بغداد كانت محدودة الى ابعد الحدود والمجتمع البغدادي كان مقيدا بالتقاليد الاجتماعية والاعتبارات الدينية وان مجال التحرر منها كان ضيقا جدا، والحياة الاجتماعية كانت مقتصرة على ارتياد المجالس الخاصة والمقاهي والمساجد والمناسبات الشعبية التي تقام في الايام المخصصة لها، وهي مناسبات ترفيهية للرجال والنساء والاطفال على السواء فلم يكن في بغداد الامس مايشبه (مدينة الالعاب او جزيرة بغداد السياحية او جزيرة الاعراس ولا متنزه كالزوراء) بل كانت عندنا ايام المدائن وسيد ادريس ورابعة بنت جميل وباجلة الصرافية وبستان الخس كما لم يكن عندنا مذياع ولاتلفاز ولاترانسيستور ولافديو، بل كنا نقضي الامسيات حول (القره كوز) والفوتوغراف وارتياد مقاهي القصخون ثم جاءت الدونبلة فصرنا نتسلى بها والتي كان يديرها المرحوم صالح الجنابي في عدد من مقاهي بغداد ان مقاهي بغداد القديمة كانت تركز الحياة الاجتماعية للرجال وكانت بمثابة النواب الليلة التي تشاهد اليوم.. ولذا كثر عددها حتى اصبح في كل محلة من محلات بغداد (كهوة) تعرف بكهوة الطرف غير ان بعض المقاهي قد اشتهر اكثر من غيرها ومنها، في جانب الرصافة.. كهوة شكر.. وكهوة المميز.. وكهوة حمام المالح، وكهوة الوقف، وكهوة البلدية، وكهوة عزاوي.. وكهوة ملا حمادي في المربعة.. وكهوة البقجة في الميدان.. وكهوة جامع الخفاجي وكهوة الشط وكهوة المصبغة وكهوة مليكة في الصدرية.. وكهوة حوري في الفضل وكهوة حسن عجمي.. وكهوة امين وكهوة الزهاوي حاليا وقرب المستنصرية كهوة عبود.. وكهوة عارف آغا.. وكهوة البرلمان،، وكهوة البرازيلية.. والشابندر مقابل سوق السراي وكهوة ابراهيم عرب في الكرنتينة.. وحجازي في الاعظمية وكهوة العبد في الباب الشرقي خلف مدرسة الراهبات.. اما في جانب الكرخ فقد اشتهرت كهوة العكامة.. وكهوة الكاريات.. وكهوة المميز (المملكة) وكهوة البيروتي وكهاوي عكيل.. وكهاوي الطرف الاخرى.. التي لاتحضرني اسماؤها!.

×وماذا عن التعليم في تلك الايام؟.

-الناحية التعليمية لبغدد الامس مفجعة فقد كان التعليم مقتصرا على الكتاتيب بالنسبة للذكور وعلى مايسمى (الاستة) او (الخوجة) بالنسبة للاناث حيث يدرس فيها القران الكريم وكتابة الخط بالنسبة للذكور والخياطة بالنسبة للاناث ولا اكثر من ذلك.

وفي اواخر العهد العثماني اسست مدارس اعلى من الكتاتيب كمدرسة السلطاني ومكتب الاعدادي الملكي والاعدادي العسكري ومدرسة الحقوق ومدرسة المهنية وهي مدرسة الصنائع اما مدارس العسكرية العليا فكانت في اسطنبول وعلى الذين يريدون اكمال دراساتهم العليا سواء العسكرية ام المدنية فعليهم ان يشدوا الرحال الى هناك في رحلة قد تستغرق عدة اشهر.

×والناحية الاقتصادية؟

-لا ادري ماذا تقصد بالناحية الاقتصادية؟ فاذا كان ما تقصده هو الغنى والفقر في بغداد ايام زمان فذلك لايتقصر على العراق وحده بل يطول جميع البلدان التي كانت تحت الحكم العثماني وفي اواخر الحرب العالمية الاولى كنا نحمل الليرات التركية (بالعلاليك) لنشتري بها بعض المواد الغذائية الرخيصة جراء التضخم وهبوط الليرة الورقية وبعد الاحتلال البريطاني لم يكن الوضع الاقتصادي افضل مما كان عليه ابان الحكم العثماني سوى ان الروبية الهندية قد حلت محل الليرة التركية.

واما اذا كنت تقصد بالناحية الاقتصادية ما يتعلق بشؤون المواطنين من كسب وبيع وشراء او تجارة او اعمال حرفية او ماشاكل ذلك من وسائل كسب الرزق فان الامر يختلف تماما بين اليوم وبين ماكان عليه الوضع ابان العهد العثماني فلم يكن في ذلك العهد من ضرائب سوى ضريبة العقار التي تسمى الويركو وهي العشر من بدل الايجار او ضريبة الاستهلاك وهي العشر ايضا من بيع الحاصلات الزراعية على اختلاف انواعها، وكان هنالك نظام البدل للاعفاء من الخدمة العسكرية، ولاتوجد يومئذ ضريبة عقار اساسية واضرب لك مثلا عن كيفية تملك العقار ايام زمان.

لقد اشترى احد الاجداد دارا في بغداد سنة ١٢٠٨ هجرية اي قبل اكثر من مئتي سنة وكل ماكان على البائع والمشتري ان يفعلاه هو الحضور امام الجهة الشرعية الرسمية لتثبت اوصاف وموقع العقار وبدل البيع والايجار ويستحصلا قرارا شرعيا بذلك ويشهدا عليه عددا من الشهود من الوجهاء ورجال الدين فيبصمون مهورهم او يوقعون على تلك الوثيقة التي تعد سند الملكية، وينتهي الامر..

×هل لك ان تنورنا عن المعالم الشهيرة التي كانت قائمة في بغداد الامس؟.

-اشكرك على هذا السؤال لافساح المجال لي لبث مافي قلبي من هموم حول المعالم التراثية التي ازيلت والتي اتمنى اعادتها والحفاظ عليها كتراث بغدادي اصيل.

ان اول المعالم التي اتمنى اعادتها الى مكانها في ساحة حديقة الميدان هو (طوب ابو خزامة) ذلك الاثر البغدادي الذي يفتخر كل بغدادي اصيل ان رأسه قد دس في فوهة ذلك الطوب صاحب المعجزات!!.

الاثر الثاني الذي اتمنى اعادته الى سابق عهده والحفاظ عليه هو مدرسة الاحمدية التي درست فيه دراستي الاولية وحفظت القرآن وتعلمت الخط فيها ان هذه المدرسة كانت تعرف تاريخيا (بالحجرة) وهي احدى حجرات المدرسة النظامية المجاورة للمدرسة المستنصرية وقد جعلت هذه المدرسة مؤخرا مسجدا باسم المسجد الاحمدي..

لقد تخرج في هذه المدرسة عدد كبير من البغداديين الذين قامت على اكتافهم الدولة العراقية وقد ذكرتها في كتابي (بغداد كما عرفتها)، بمدرسة ايتون وهارو بالنسبة للانكليز . ان آخر من تخرج فيها من مشاهير البغداديين هو الخطاط الشهير المرحوم محمد البغدادي وكان ذلك على يد الملا عارف اخ الملا ابراهيم. رحمهم الله جميعا.

اما الاثر الذي اتمنى الحفاظ عليه وضمه الى قائمة الدور التراثية فهي دار جعفر العسكري الواقعة في محلة (السور) مقابل قاعة الشعب. ان جعفر العسكري هو احد اثنين من العراقيين اللذين حضرا مؤتمر القاهرة الذي تقرر فيه ترشيح الملك فيصل الاول ملكا على العراق وهو احد مؤسسي الجيش العراقي الباسل ذي المواقف المشرفة ولاغبار على سمعته الوطنية والاخلاصية وشخصيته واخلاصه لبلاده واتمنى لو شملت الرعاية عددا من الدور التراثية.

وهنالك اثر تراثي يحسن الانتباه اليه والمحافظة عليه وهو الجزء الباقي من سور بغداد القديم والمحصور بين قاعة الشعب وجامع الازبك المجاور لوزارة الدفاع واتمنى لو طالته يد الصيانة واخيرا اتمنى اعادة كهوة المميز الى سابق عهدها في اواخر القرن الماضي، ان هذا المقهى كان الندوة الحقيقية للمقام العراقي الاصيل والجالغي البغدادي الاصلي وقد خلد اسم رائد المقام العراقي المرحوم احمد زيدان وتلامذته امثال خليل زبار وشلتاغ ونجم النيار ورحمني نفطار وحسن الشكرجي ويوسف بتو وابن رجوان وغيرهم من الموسيقيين المختصين بالمقام والجالغي البغدادي غير ان اسم احمد زيدان رائد المقام الاول وعميده بلا منازع لايرد في الندوات التي تعقد حاليا حول المقام العراقي وخاصة في برنامج (ضفاف على التراث) الذي يديره (يحيى ادريس) وعلى صفحات الجرائد التي تعنى باخبار الموسيقى والغناء والفن العراقي القديم على اختلاف انواعه والوانه كالمقامات والمربعات والمواليد ومقابلات الفنانين القدامى والمحدثين!!.

×لقد الفت عدة كتب عن البلاد الاجنبية ماذا عن كتابك الاخير بغداد كما عرفتها؟.

-كتابي عن بغداد كتبته بعد تقاعدي وهو يختلف شكلا وموضوعا واسلوبا ولغة عن كتبي الاخرى، فقد كتبته ابان الحرب العراقية – الايرانية بعاطفة جياشة ورغبة صادقة وحب اكيد لبغداد كما يكتب عاشق رسالة غرام لعشيقته. فلذلك تراني قد بدأت الكتاب بالعبارة التالية (عهدا صادقا اقطعه على نفسي ووعدا صادقا التزم به مادمت حيا فو الذي نفسي بيده لن استبدل (شكنكة) واحدة من احجارك بكل صخور الدنيا وقصورها.. كما ختمت الكتاب بالعبارة التالية (ها انا ذا) بغدادي من اعماق جذور بغداد ومن صميم مراحل تاريخها الغابر والمعاصر وسامضي بقية ايام عمري فيها والاعمار بيد الله واني لاوصي بأن ادفن في ثراها الطاهر.. ان شاء الله ذلك وهو القائل صدقت كلمته (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأي ارض تموت)..

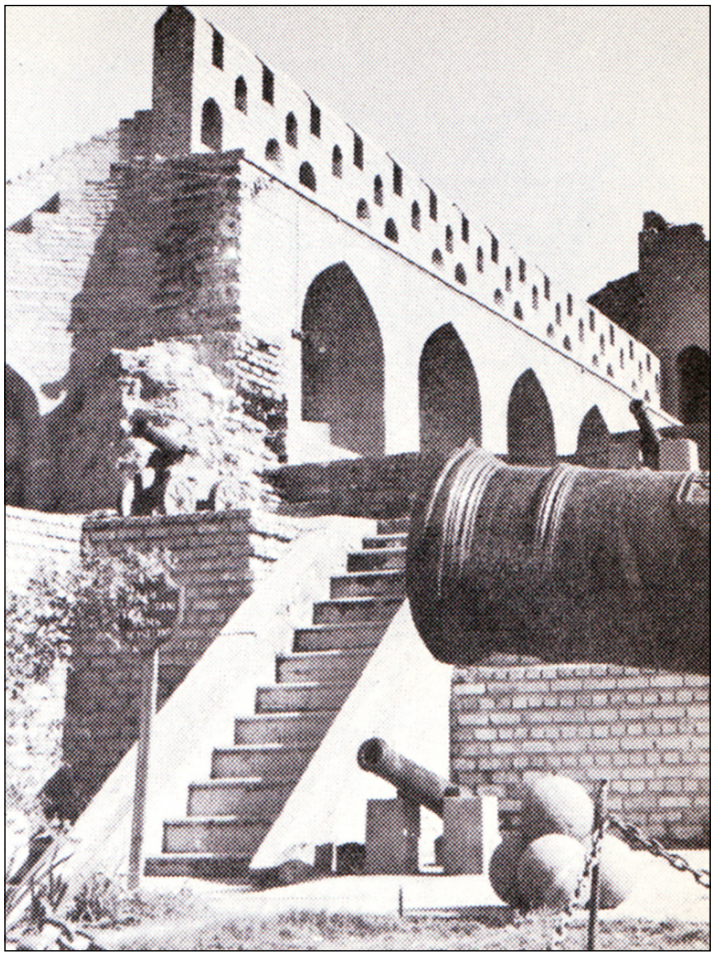

من اوراق الراحل صادق الازدي

قصة أقدم ساحات بغداد

بغداد اليوم، الممتدة الضواحي شرقا وغربا.. شمالا وجنوبا، بغداد هذه لم تكن تمتد الى ماهو اكثر من باب المعظم حتى الباب الشرقي ومن نهر دجلة حتى باب الشيخ حتى الشيخ عمر هذا في جانب الرصافة، اما كرخ بغداد فكان يمتد من الجعيفر حتى الشواكة طولا ولايزيد العرض على العلاوي والارضو ملي وماجاورها!.

هكذا كانت بغدا في الثلاثينيات حيث كان بعض الاثرياء من سكانها وبعض كبار موظفيها يتطلعون نحو الضواحي القريبة لبناء دورهم الجديدة على ارضها! فقام البناء في منطقة البتاويين وفي باب المعظم –الكرنتينة– وغيرهما من المناطق.

ساحات بغداد!

وبغداد العشرينيات والثلاثينيات، عرفت بعض الساحات ذات الاشجار واقدم تلك الساحات هي التي كانت تقوم في منطقة الميدان مقابل جامع الاحمدي فقد كان الميدان من اشهر معالم بغداد في اواخر العهد العثماني، واوائل العهد الملكي وقد ذكر احد الرحالة الانكليز الذين زاروا بغداد في نهاية القرن الثامن عشر، انه زار منطقة الميدان ليلا، وكانت مضاءة بالنيران المشتعلة في الخشب والناس تجمعوا حولها يغنون وينشدون ويستمدون الدفء منها!.

وقد اقيمت في الميدان نافورة ماء يتجمع الماء المندفع منها في حوض سمنتي اسفلها، وكان ذلك الحوض يقع مقابل مدرسة المأمونية الابتدائية، وكانت تقع في مدخل محلة البقجة ويقع خلفها مباشرة المدفع العثماني القديم المشهور باسم (طوب ابو خزامة) وكانت النسوة البغداديات يزرنه ومعهن اطفالهن المرضى، ويوقدن الشموع عنده، ويعلقن قطع القماش به، فقد كان الاعتقاد السائد يومذاك ان المدفع له (كرامات) وقد نقل فيما بعد الى الباب الوسطاني في الشيخ عمر عندما اقيم المتحف العسكري هناك، ونقل مرة ثانية ليوضع في الحديقة التي قامت مقام الحوض السابق ذكره عندما نقل المتحف الحربي الى المبنى الذي يحتله اليوم قصر الثقافة والفنون، وقد وضعت لوحة تنبه الناس الى مكان المتحف، ونقل مرة ثالثة بعد ان نقل المتحف الى مكان جديد، وتقوم اليوم حديقة وسطية صغيرة في المكان الذي كان فيه المدفع – طوب ابو خزامة–!.

منطقة الميدان..

وكانت منطقة الميدان معروفة جدا بالنسبة لسكان بغداد.. ومعظم الذين يزورونها من سكان المحافظات، ذلك ان جميع الملاهي البغدادية كانت تقوم في المنطقة، وكذلك (البارات) والمقاهي والفنادق قبل ان تنشب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩– ١٩٤٥) اذ صارت الملاهي تنتقل صيفا الى اماكن اعدتها لها امانة العاصمة.

وهي من المحلات الصيفية المكشوفة وكانت تقوم في حديقة المعرض بباب المعظم وقد حلت بمكانها بنايات بعض الدوائر، وظلت الملاهي تحل فيها صيفا وتعود الى اماكنها شتاء بعضها في الميدان وبعضها الاخر صارت تحتل اماكنها الجديدة في الباب الشرقي وقد صارت كلها في ذلك الجزء من بغداد، وبعضها انتقلت ابعد من ذلك! ولكن ذلك تم خلال سنوات.

حديقة ثانية!

وبعد ان ازيلت بعض الدور وقامت مكانها محطات بدايات انطلاق حافلات نقل الركاب العامة، قامت امامها من ناحية شارع الرشيد حديقة وسطية، استقرت على وضعها الراهن بعد تغييرات جمة..

حديقة جسر الاحرار

ويقوم هذا الجسر الحديدي حيث كان يقوم جسر مود وهو الجسر الذي انشأه الانكليز في بغداد بعد احتلالهم لها، وكان في بغداد كلها جسرها الذي كنا نسميه جسر العتيك تمييزا له عن الجديد، ولما تم بناء الجسر الحديدي قبيل الحرب العالمية الثانية، انشأوا حديقة صغيرة امام مدخله لغرض تنظيم مرور وسائط النقل القادمة من الكرخ الى الرصافة عبر ذلك الجسر وقد تم زرع نخلتين فيها شاهدناهما وهما ليستا غير فسيلتين ثم وهما اليوم من النخيل العائطة!!.

ساحة الباب الشرقي

وكما ان ساحة الميدان تعود الى بداية القرن الحالي فكذلك ساحة الباب الشرقي التي تعود الى اوائل الثلاثينيات وقد اقيمت بعد ان انشأت امانة العاصمة يومذاك حديقة غازي التي صار اسمها فيما بعد حديقة الامة وقد قامت الحديقة على ارض منخفضة كانت عربات (الزبل) تلقي فيها حمولتها!.

مقابل تلك الحديقة كانت تقوم الكنيسة الانجليكية في بناية قديمة هي من اجزاء سور بغداد، فتم هدمها عند فتح شارع الجمهورية الذي اسمه اليوم شارع الخلفاء فاقيمت حديقة وسطية – ساحة– وبعد اجراء التغييرات التي تلت اقامة جسر الباب الشرقي الحديدي حصلنا على ساحة مالبثت ان تحولت الى نفق للسيارات،

اقدم عمارة!

وكانت عمارة مرجان هي اول عمارة تقام في الباب الشرقي وتقابل حديقة الامة وتطل عليها كما تطل على تمثال عبدالمحسن السعدون الذي نقل الى مكانه الحالي من مكانه الاول الذي صار شارعا تقف على جانبيه حافلات نقل الركاب العامة.

هذه هي ساحات بغداد او حدائق الشارع الوسطية بين الباب الشرقي وباب المعظم وهناك بطبيعة الحال عدد كبير من الساحات المنتشرة في جانب الكرخ، وفي شارع الخلفاء وغيره من شوارع بغداد، الا ان الساحات التي ذكرناها هي اقدمها على الاطلاق.

كانت عمارة مرجان هي اول عمارة تقام في الباب الشرقي وتقابل حديقة الامة وتطل عليها كما تطل على تمثال عبدالمحسن السعدون الذي نقل الى مكانه الحالي من مكانه الاول الذي صار شارعا تقف على جانبيه حافلات نقل الركاب العامة .

ساحة الفردوس

مجلة الحضارة 1989

اسماء تعرفها بغداد

محمد بهجت الأثري
يحدد ملامح بغداد في أواخر حكم العثمانيين

حوار: عادل العرداوي

مدخل

شخصية بغدادية معروفة لها باع طويل في مجالات البحث والتأليف العلمي والادبي الغزيرة طوال الـ (٧٠) عاما المنصرمة انه العلامة محمد بهجت الاثري.. الذي احتضنته بغداد منذ مصافحة عينيه نور الحياة اول مرة في عام ١٩٠٤ في محلته القديمة جديد حسن باشا..

هذا الرجل البغدادي الذي لا نضيف الى مكانته او موقعه الادبي والعلمي شيئا جديدا.. لانه غني عن التعريف فقد نشأ مع نشوء بغداد الحديثة ونهل العلم والمعرفة اولا من كتاتيبها الصغيرة.. ومن حلقات الدرس والمناظرة التي كانت تشهدها مجالسها الادبية المعروفة.. تعلم في البدء حفظ القرآن الكريم.. ومن ثم دخل المدارس العثمانية الموجودة آنذاك.. وعاصر بغداد تلك المدينة الصغيرة ذات الازقة الضيقة.. التي تستيقظ مع أذان الصبح وتسكن بعيدا أذان العشاء حيث يلفها ظلام ليل طويل.. ومع تقلب الظروف التي عاصرت بغداد عبر هذه الحقبة المهمة من تاريخها اي منذ بداية القرن العشرين.. كان الاثري معاصرا لاحداث هذه المدينة وتناقضاتها ووثباتها..

الاثري شهد احداثا معروفة مرت ببغداد والعراق.. تقهقر الحكم العثماني.. ودخول قوات الاحتلال البريطاني بقيادة الجنرال "مود" عام ١٩١٧ وتأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢١.. ومساهمته بالتدريس في مدارس العراق الاولى واشغاله للعديد من الوظائف المهمة في التعليم والتفتيش والاوقاف والمجمع العلمي.. واشتغاله في الصحافة ومشاركته في حركة مايس ١٩٤١.. وتعرضه للسجن والنفي من جرائها وتوليه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مديرية الاوقاف العامة في العراق.. وفي الجانب الفكري.. فان للاثري صولات وجولات واضحة.. حيث اغنى المكتبة العربية بعشرات الكتب القيمة في الادب والدين والتاريخ والتراث والتحقيق.. اضافة لمكانته الشعرية.. اذا ما عرفنا ان هذا الرجل شاعر موهوب ذو قريحة جياشة في شتى المجالات.

من خلال جلسة الذكريات الطويلة التي عقدناها مع الاثري في بيته ورغم "اعتلال" صحته واعتكافه الفراش.. فقد اغنانا بفيض ذكرياته ذات النكهة التاريخية والطريفة في الوقت نفسه خاصة انه يمتلك ذاكرة مليئة بشتى المواقف والحكايات التي عاشها.. وعاشتها بغداد من خلال تاريخها الماضي والحاضر.. فلا بأس اذن ان نتعرف على صورة بغداد القديمة من استذكارات ووقفات الاثري.. فهي اذن فرصة للجيل الذي لم يعش بغداد القديمة ان يتعرف على ملامح ايام زمان.

الاثري ابن الرصافة.. وبالتحديد ابن قلب الرصافة.. حيث ولد في محلة جديد حسن باشا على مقربة من الجسر من المستنصرية العظيمة وشب وترعرع فيها ردحا من الزمن يوم كانت هذه المحلة العريقة.. من اكبر محلات بغداد السكنية في بدايات هذا القرن.. سألته عن الرصافة قبل (٧٠) عاما وابرز ملامحها العمرانية والتخطيطية والاجتماعية انذاك.. فقال:.

.حدود الرصافة اواخر العهد العثماني.. تبدأ من المحل الذي كان يعرف بباب المعظم حيث تقوم بناية وزارة الدفاع الآن.. اذ كان هذا الباب بابا عاليا ضخما ينفذ منه الى ربض المدينة اي اطرافها.. ويمتد منه طريق ينتهي الى الاعظمية وأما وراءها.. هذا من الجهة الشمالية من المدينة.. وينتهي حدها الجنوبي عند اوائل شارع باب الشيخ حاليا ثم تلي ذلك البساتين التي تمتد الى الباب الشرقي وما وراءه الى الكرادة وما الحد الشرقي فهو يبدأ من باب الطلسم عند مقبرة الشيخ عمر السهروردي.. التي كانت تعرف في التاريخ بمقبرة (الوردية) ثم غلب اسم الشيخ عمر على الاسم القديم.. وكان يحيط بالمدينة اي جانب الرصافة سور وخندق.. اما السور فقد اندرس اكثره يومئذ.. وبقي الخندق الذي يمتد من نهر دجلة من شمال وزارة الدفاع الحالية.. وقد دفن هذا الخندق وجعل قسم منه حديقة.. وهي تمتد من جهة جامع الازبك الى قاعة الشعب، وقد قام بهذا الدفن آنذاك امين العاصمة الاسبق السيد نشأت السنوي رحمه الله.. وكان اول البادئين في العهد الملكي بالاصلاحات التي استطاع ان ينهض بها بقدر ما أمدته ميزانية الدولة الضعيفة.

عربات "القوج"

اما منطقة الرصافة فلم تكن فيها شوارع تذكر.. وانما كانت عبارة عن ازقة ودور ضيقة واهم شوارعها او ازقتها. اذا شئت .كان (عقد الصخر) .. وكان هذا هو الزقاق الوحيد المفروش بالصخور الناشئة.. وكانت تسير في هذا الشارع بعض عربات (القوج) التي تجرها الخيول اذا مرت به تسمع لها قرقعة عالية.. وكان من الضيق بحيث اذا مرت العربة فيه يضطر المارة الى الالتصاق بالجدران او المحلات على جانبيه.. !!

ام بقية الازقة فكلها ترابية وكان الناس في ايام الشتاء يلقون عناء شديدا اذ يضطرون الى الخوض في الوحل. وكان اذا اشتد المطر وتعاظم الوحل يقوم الحمالون بحمل الناس من موضع الى آخر.. لقاء اجرة زهيدة.. وقد بقي هذا الحال قريبا من الثلاثينيات من القرن العشرين حيث شرع في تبليط هذا الشارع.

اول شارعين في بغداد

وفتح العثمانيون ابان الحرب العالمية الاولى، شارعين اولهما (جادة خليل باشا) وقد سمي من بعد شارع الرشيد ويمتد من باب المعظم الى الباب الشرقي واما الشارع الثاني فهو شارع (عقد الصخر) .. ويمتد من شارع الرشيد عند ساحة الرصافة الى جسر الشهداء الذي كان يقوم على سفن خشبية عائمة على المياه ثم استبدلت بها سفن من حديد بعد الاحتلال البريطاني.

وقد فتح العثمانيون هذين الشارعين لتيسير مرور جيوشهم ووسائط نقلهم الحربية الى الجنوب لمقاتلة الانكليز..

اسواق.. ومقاهي.. ومساجد

ترى ماهي ابرز مساجد.. ومقاهي واسواق ومحلات الرصافة اواخر ايام العثمانيين؟

١.كانت الرصافة تزخر ولا تزال بالمساجد والجوامع الكبار وبالمساجد الصغار في مختلف انحاء المدينة اشهرها مسجد الشيخ عبد القادر الجيلي في باب الشيخ، ومسجد الخفافين وهو في محل مسجد الحظائر العباسي وقد بقيت منه منارته وانشيء في العهد العثماني، وجامع الآصفية وكانت به مئذنتان على جانبيه تجاه القبلة وقد عصفت ريح شديدة على بغداد في ربيع احدى سنوات الحرب العالمية الاولى فأسقطت في جملة ما اسقطت هاتين المئذنتين الى حوضيهما، ولما كان هذا المسجد قد ارخه الشاعر صالح التميمي من شعراء داود باشا والي بغداد المشهور بقوله:

جعلوا تاريخه الخيرات مذ

- في الكتاتيب كانوا يكتبون على صفائح "التنك" بدلا من دفاتر الورق
- الخصومة المزمنة بين الزهاوي والرصافي في ما اسبابها؟
- "جادة خليل باشا" وعقد الصخر" اول شارعين فتحهما العثمانيون في بغداد

شيد فيه ارخوا مئذنتان
فقد بقيتا كذلك الى ما بعد الانتداب البريطاني فشادت وزارة الاوقاف بقايا احدى هاتين المئذنتين مئذنة شامخة ذات حوضين مشيرة بهما الى هذا التاريخ الذي ارخه الشاعر التميمي، وهدمت بقايا الثانية.
ومن المساجد الشهيرة التي انشأها العثمانيون جامع الحيدرخانة الشهير وهو من انشاء داود باشا فرغ من عمارته سنة ١٢٤٢ هجرية، وجامع الوزير، وجامع الصاغة، وجامع العدلية الكبير، وجامع العاقولي، وجامع الميدان، وجامع الشيخ عمر السهروردي، وجامع السيد سلطان علي، وجامع الفضل، وجامع القبلانية في جوار المدرسة المستنصرية، وجامع الكهية، وجامع المرادية، وغيرها عدا مساجد اخرى استحدثت في ذلك العهد.
٢.اسواق الرصافة اشهرها في اواخر العهد العثماني، سوق البزازين وسوق الصاغة وكان محله في خان جغان (جغلة) ثم نقل بعد العهد العثماني الى محلة جديد حسن باشا وجعل له بابان احدهما من سوق السراي، وسوق الغزل، وسوق الشورجة وهو اعظم اسواق الرصافة ومركز تجاري خطير، وسوق الصفافير اي (الصفارين) وسوق الميدان وسوق باب الاغا وسوق الهرج، وهما اثنان احدهما السوق الممتد خلف المدرسة المستنصرية وينتهي عند خان جغان، والسوق الثاني في محلة الميدان ويقع في جنوب جامع الميدان (الاحمدي) وما زال قائما. وسوق الدهانة والصدرية وغيرها.
٣.المقاهي في كل حي من احياء الرصافة مقهى خاص بأهل الحي وقد يؤمه المارة المتعبون للراحة والاستجمام وشرب القهوة والشاي وتدخين (النارکيلة) واشهر هذه المقاهي يومئذ: قهوة عزاوي وهي شتوية وصيفية وكانت في الغالب مرقصا ومحلا للطرب وهي تقابل المسجد الاحمدي في جنوبه، وقهوة سبع وتقع على مقربة من قهوة عزاوي الى جهة الغرب وكان بها ملعب (القراقوز) وكان يتولى الملعب شخصان تركيان احدهما اسمه (حاج جواد) والثاني (رشاد) ثم قهوة الشط على نهر دجلة وكان بها مسرحان للرقص شتوي في الداخل وصيفي في السطح، ومقهى العبد خارج السور مقابل ساحة النصر الآن وكانت مرتادة الناس في ايام الربيع خاصة كالمتنزه لوقوعها في براح واسع وحواليها البساتين التي تضوع بروائح القداح فيتناولون فيها شراب (النبع) ويقضون فيها امسيات جميلة للغاية يؤمونها ركبانا ومشاة. هذه المقاهي التي كانت تختص باللهو. وما عداها كان بريئا من اللهو والرقص وهي كثيرة.
٤.محلات بغداد: اشهرها محلة باب الشيخ وهي جزء من باب (الازج) في العصر

في كل حي من احياء الرصافة مقهى خاص بأهل الحي وقد يؤمه المارة المتعبون للراحة والاستجمام وشرب القهوة والشاي وتدخين (النارکيلة) واشهر هذه المقاهي يومئذ: قهوة عزاوي وهي شتوية وصيفية وكانت في الغالب مرقصا ومحلا للطرب وهي تقابل المسجد الاحمدي في جنوبه،

العباسي التي كانت تعد مدينة بنفسها ومحلة الصدرية ومحلة الدهانة ومحلة السنك ومحلة عكد النصارى ومحلة القشلة ومحلة العاقولي ومحلة الحيدرخانة ومحلة جديد حسن باشا ومحلة الميدان وهاتان المحلتان كانتا مركزين مهمين يسكنهما معظم موظفي الدولة الكبار والاغنياء وفيها بيوتات كبيرة واسطبلات لبعض هذه البيوت.
اما المباني التي استحدثها العثمانيون منذ ولاية مدحت باشا فهي القشلة والسراي المجاور لها والقلعة (وزارة الدفاع حاليا) ومدرسة الصنايع التي اتخذت بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة دارا يسكنها الملك فيصل الاول.. ولما بنى الملك قصر الزهور شغلها مجلسا النواب والاعيان. وكان الى جهتها الجنوبية معمل للثلج و (طرنبة الماء) وهما من محدثات مدحت باشا ايضا.. والمدرسة الرشدية العسكرية التي هي الآن الاعدادية المركزية للبنين.. ومدرسة الاعداد العسكري التي هي الآن تشغلها دوائر المحاكم. وبناية امانة العاصمة.. وكان يقال لها (البلدية). ومدرسة الحقوق التي اقيمت عليها وعلى اجزاء مجاورة لها بناية محافظة بغداد سابقا. وبناية (الكرنتينة) الثكنة الشمالية خارج السور. وقد يطول بنا الحديث لو تناولنا جميع الاحوال العمرانية، وما كانت عليه بغداد يومئذ الى اوائل تأسيس الدولة العراقية.

البداية.. من "الكتاتيب"

ننتقل مع الاثري الى جانب آخر من جوانب الحياة البغدادية.. الا وهي بدايات التعليم وتأسيس المدارس في بغداد.. اذا ما عرفنا ان اسم هذا الرجل ارتبط بالتعليم والمدارس منذ العشرينيات:
. المدارس في الرصافة في اواخر العهد العثماني انواع.. اولاها (الكتاتيب) تعلم فيها القراءة والكتابة والحساب، وتشتد العناية فيها بتحفيظ ما تيسر من آيات القرآن الكريم وكانت بعض هذه الكتاتيب تتولاها النساء.. وقد بدأت تعلمي فيها في محلتي (عقد الصخر) جديد حسن باشا وكانت المرأة التي تشرف على تعليمي تسمى (خوجة نعيمة) ثم انتقلت الى كتاب آخر قريب منه اتممت قراءة القرآن الكريم في السنة السادسة قراءة لا حفظا.. ولا بد من ان نشير الى اننا كنا نكتب على صفائح من (التنك) وفي (الالواح الرياضية) وفي الورق، والكتابة باقلام القصب والحبر الاسود وكانت هناك مراسيم خاصة لختمة القرآن.. كانت تمارس سابقا.. وبعد هذه المرحلة تبدأ الدراسة الابتدائية وهي في الغالب تتكون من ثلاثة صفوف.. يدرس فيها القرآن الكريم والخط العربي وعلم التجويد والقصيدة كل ذلك بعناية فائقة.. والتاريخ العثماني ومبادئ الجغرافية والحساب والهندسة والرسم والاناشيد التركية.. وكانت لغة التعليم اللغة التركية لكون هذه اللغة هي اللغة الرسمية.
ومن هذه المرحلة ينتقل الى مرحلة اعلى وهي قسمان المدرسة السلطانية تبدأ من الرابع وتنتهي الى السنة الثانية عشرة، مدة الدراسة فيها (٩) سنوات تقابل مدة الدراسة في الكلية.. اي انها تحتوي على ما يسمى الآن المدرسة المتوسطة والاعدادية والعالية.. هذا في جانب التعليم المدني.

مجلة امانة العاصمة تشرين الثاني 1978

كوركيس عواد

ماذا يقول عن بغداد؟

حين دخلت دار المعلمين الابتدائية ببغداد في اواخر عام ١٩٢٢، جئتها من الموصل، قاطعا شطرا من الطريق بالسيارة، وهو الممتد بين الموصل والشرقاط، فاستغرقت سفرتنا هذه نحوا من ثماني ساعات، لاقينا خلالها الامرين لوعورة الطريق ورداءته فهذا الذي قطعناه من الموصل الى الشرقاط كان غير مبلط والسيارة في ذلك الحين، اعني قبل خمس وستين سنة، كانت حسب المألوف انذاك، بطيئة السير متخلخلة وبعد ان وصلنا الشرقاط ركبنا القطار الى بغداد، فاستغرق سفرنا فيه نحوا من اثنتي عشرة ساعة.
كانت بغدد في ذلك الحين مدينة مختلفة صغيرة الرقعة رثة المنظر، ذات بنايات زرية وليست فيها طرق معبدة ذات ارصفة ولم يكن فيها يومذاك غير شارع واحد هو (شارع الرشيد) الذي كان كثير الالتواءات فضلا عن كونه يضيق تارة، ويتسع تارة اخرى.
لقد كان الجانب الشرقي من بغداد وهو المعروف بجانب الرصافة، صغيرا محدود الرقعة فهو يبدأ شمالا من منطقة الميدان وينتهي جنوبا بالقرب من محلة (السنك) وكان نهر دجلة يحد الرصافة غربا اما من الشرق فكان ينتهي عند ما نسميه اليوم بشارع (الخلفاء) او مابعده بقليل.
هذا مايتعلق بجانب الرصافة اما جانب الكرخ فكان اسوأ حظا من الرصافة اذ ان الوصول من الجسر العتيق الى منطقة الصالحية وهي كانت اقصى ما في هذا الجانب غربا كان محفوفا بالاهوال، لكثرة مافيه من اتربة واوحال وحفر واخاديد، واذا قلنا (الصالحية) فاننا نقصد بها تلك الساحة التي شيدت عليها بعد عشرات السنين بناية كل من المتحف العراقي.. والمؤسسة العامة للاثار والتراث.
وما قلناه عن ساحة (الصالحية) في وسعنا ان نعممه على جميع انحاء بغداد، سواء اكانت في جانب الكرخ ام في جانب الرصافة.
فلم تكن حينذاك في مدينة بغداد، طرق وشوارع مبلطة ولاعمارات تستحق الذكر اللهم بعض الجوامع والمساجد ذوات الطابع المعماري الآثاري كجامع مرجان، وجامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني، وجامع الحيدرخانة، ونحوها، ومما اذكره في هذا السبيل، ان (الكاظمية) كانت تمتد بينها وبين الجانب الغربي من بغداد اراض زراعية وبساتين ولم تكن هنالك طرق بل كان يتم الوصول من احداهما الى الاخرى، بمركبات (كاريات) تسير فوق سكة حديد ويجر الواحدة منها حصانان.
اما (الجسور) التي كانت توصل مابين جانبي الكرخ والرصافة من بغداد فقد كان في بغداد يومذاك جسران خشبيان عائمان احدهما الشمالي ويعرف بالجسر العتيق، وثانيهما جسر مود وقد انشئ هذا الاخير بعد الاحتلال البريطاني للعراق، وسمي باسم الجنرال مود القائد الانكليزي وكان كلا الجسرين يقطعان في ضحى كل يوم، ليتسنى للسفن البخارية والخشبية (المهيلات) السير في النهر.
كانت مواد البناء المستعملة يومذاك في بغداد الطابوق واللبن والجص والخشب والحصران والطين والزفت، اما الحديد (الشيلمان) و(الشيش) والسمنت والكاشي فقلما كانت تستعمل بل لم تكن معروفة!.
لقد اتسعت بغداد اليوم عما كانت عليه في اوائل العشرينيات من هذا القرن، حتى باتت المقارنة بين بغداد اليوم اي في سنة ١٩٨٧، وبين بغدا الامس اعني في سنة ١٩٢٣، امرا متعذرا فما اعظم الفارق بين ماكانت عليه في اوائل العشرينيات وبين ماهي عليه اليوم!
لقد اتسعت الرقعة التي تشغلها بغداد الحديثة، اتساعا مذهلا عما كانت عليه بالامس فاصبح طولها الممتد في محاذاة نهر دجلة الذي يجري في وسطها، عشرات الكيلومترات، كما اصبح عرضها بمثل هذا المقدار من الكيلومترات.
واننا لنرى في بغداد اليوم، مايباهى به من العمارات واسعة الرقعة، شاهقة الارتفاع، وقوام كل عمارة طوابق متعددة كل ذلك مشيد ببناء رصين وفق احدث فنون البناء.
دع عنك ما يتخلل هذه المباني من طرق معبدة، وخطوط سريعة وحدائق جميلة وتشجير هذا الى ماهنالك من ساحات وانفاق وجسور، ومتاحف وكليات وجامعات وملاعب وسينمات واسواق ومعارض ومطارات، وفنادق، ومعامل ومصانع، وغير ذلك من وسائل العمران التي يتعذر علينا التنويه بها جميعا في مثل هذه العجالة.
وما يمكن القول في مثل هذه النبذة ان مدينة بغداد اليوم، هي غير ماكانت عليه بالامس فهي والحق يقال في نمو وتقدم وازدهار. يوما بعد آخر..

مجلة الف باء تشرين الثاني 1974

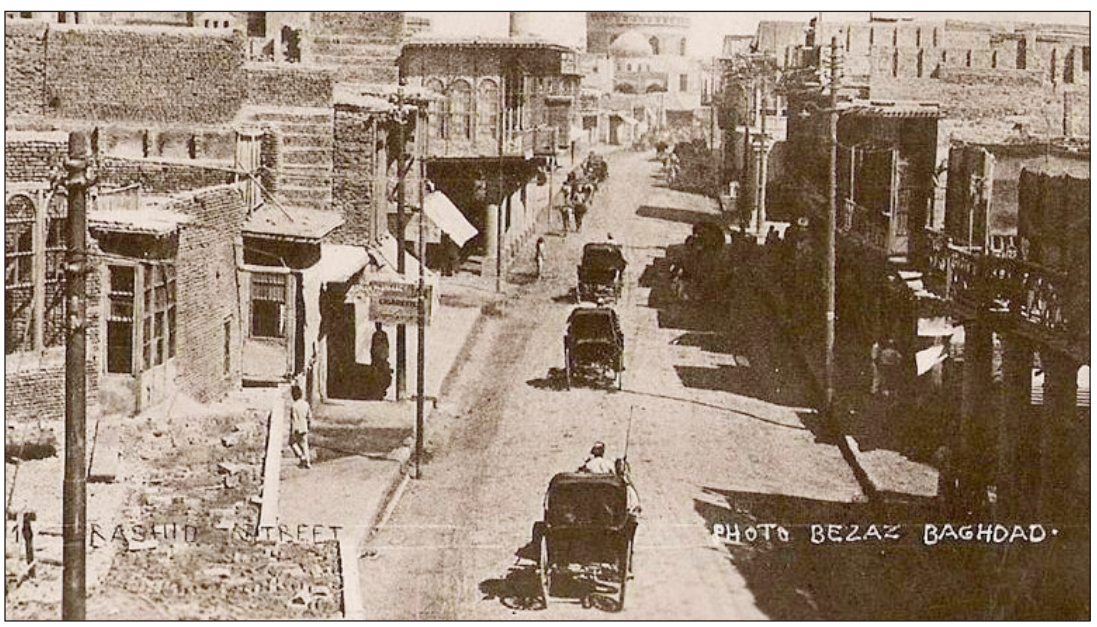

الحوادث المهمة في تاريخ بغداد

عن كتاب دليل خارطة بغداد

مصطفى جواد

١٣هـ/ ٦٣٤م: غزو العرب لقرية (سوق بغداد) على عهد ابي بكر الصديق (رض).
١٤١هـ/ ٧٥٨م: تخطيط مدينة المنصور المدورة في غربي بغداد الحالية قرب الكاظمية.
١٤٥هـ/ ٧٦٢م: تأسيس مدينة المنصور المدورة وبناء جامع المنصور وقصر باب الذهب.
١٤٩هـ/ ٧٣٣م: اكمال بناء مدينة المنصور المدورة.
١٥٠هـ/ ٧٦٧م: وفاة الامام ابي حنيفة ودفنه في مقبرته الحالية (مقبرة الخيزران) في الاعظمية.
١٥١هـ/ ٧٦٨م: تأسيس الرصافة ووضع أسس جامعها وقصرها.
١٨٣هـ/ ٧٩٩م: وفاة الامام موسى الكاظم ودفنه في مقابر قريش.
١٩٨هـ/ ٨١٣م: حصار بغداد في عهد الامين.
٢٠٠هـ/ ٨١٥م: وفاة الشيخ معروف الكرخي ودفنه في مقبرته الحالية (دير العتيقة).
٢١٦هـ/ ٨٣١م: وفاة زبيدة زوجة هارون الرشيد ودفنها في مقابر قريش (مشهد الكاظمين).
٢١٨-٢٢١هـ/ ٣٣٨-٨٣٦م: انشاء المعتصم قصره في الجانب الشرقي.
٢١٩هـ/ ٨٣٤م: و فاة الامام محمد الجواد (ع) ودفنه في مقابر قريش (مشهد الكاظمين الحالي).
٢٢١هـ/ ٨٣٦م: انتقال الخلافة العباسية من سامراء.
٧٢٩هـ/ ٨٩٢م: اعادة مقر الخلافة الى بغداد.
٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م: انشاء جامع الخليفة (الخلفاء) (جامع سوق الغزل).
٢٩٢هـ/ ٩٠٤م: غرق بغداد وانهدام المنازل على شاطئ دجلة.
٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢: انشاء حير الوحوش (حديقة الحيوان)، هدم جامع براثا، انشاء قصر الجوسق.
٢٩٨هـ/ ٩١٠م: وفاة الجنيد البغدادي ودفنه بالمقبرة الشونيزية (مقبرة الشيخ جنيد الحالية).
٣١٦هـ/ ٩٢٨م: زيادة مياه دجلة وقطعها الجسور واغراق بعض الاماكن.
٣٢٠هـ/ ٩٣٢م: انهدام قسم من سور المدينة المدورة.
٣٢٩هـ/ ٩١٤م: غرق المدينة المدورة وابنية نهر الصراة وسقوط رأس قبة قصر باب الذهب.
٣٣٣هـ/ ٩٤٥م/ غرق المدينة المدورة وانهدام طاقات باب الكوفة.
٣٣٤هـ/ ٩٤٦م: استيلاء معز الدولة البويهي على بغداد (بداية العهد البويهي).
٣٦٨هـ/ ٩٧٨م: طغيان نهر دجلة وغرق عدة محلات.
٣٨٣هـ/ ٩٩٣م: انشاء جسر سوق الثلاثاء في اعلى دار مؤنس المظفر (المحاكم المدنية والقشلة).
٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م: استيلاء طغرل بك السلجوقي على بغداد (بداية العهد السلجوقي).
٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م: تدوين تاريخ بغداد من قبل الخطيب البغدادي.
٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م: تأسيس المدرسة النظامية في الجانب الشرقي.
٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م: الشروع في انشاء السور الكبير لمدينة بغداد الشرقية.
٥١٨هـ/ ١١٢٤م: انشاء الخليفة الفضل المسترشد بالله للدار المثمنة الثانية وهي التي جلس فيها هولاكو بعد استيلائه على بغداد.
٥٢٤هـ/ ١١٢٩م: اتمام عمارة جامع السلطان.
٥٣٠هـ/ ١١٣٦م: حصار السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه في عهد الخليفة المنصور الراشد بالله وخلافة المقتفي لامر الله.
٥٥٢هـ/ ١١٥٧م: حصار السلطان محمد السلجوقي لبغداد على عهد المقتفي لامر الله.
٥٥٤هـ/ ١١٥٩م: غرق بغداد الشرقية ومحلات من الجانب الغربي.
٥٦١هـ/ ١١٦٥م: وفاة الشيخ عبد القادر الكيلاني ودفنه في باب الحلبة بموضع تربته الحالية.
٥٦٤هـ/ ١١٦٨م: غرق بغداد الشرقية.
٥٦٩هـ/ ١١٧٤م: غرق بغداد الغربية ومنها المارستان بجانبيها.
٥٧٥هـ/ ١١٨٠م: خلافة الخليفة الناصر لدين الله احمد بن الحسن المستضيء بامر الله.
٥٨٣هـ/ ١١٨٧م: هدم الخليفة الناصر لدين الله قصور السلاجقة بالمخرم لمحو اثارهم وابتداء سمو الخلافة.
٦٣٠هـ/ ٢٢٣٢م: اتمام بناء المدرسة المستنصرية في الجانب الشرقي.
٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م: طغيان نهر دجلة وغرق بغداد بجانبها الشرقي والغربي.
٦٥٦هـ/ ١٢٥٨: احتلال هولاكو لبغداد (نهاية الحكم العباسي وبداية الحكم المغولي الاسحاقي).
٧٤١هـ/ ١٣٤٠م: استيلاء الجلايريين على بغداد (انتهاء حكم الايخانيين).
٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م: استيلاء تيمورلنك على بغداد.
٩١٤هـ/ ١٤١١م: استيلاء قبيلة قره قوينلو التركمانية على بغداد.
٨٧٤هـم ١٤٦٩م: استيلاء قبيلة اق قينلو التركمانية على بغداد.
٩١٤هـ/ ١٥٠٨م: استيلاء الشاه اسماعيل الصفوي على بغداد.
٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م: استيلاء الامير ذي الفقار رئيس قبيلة موصلو الكلهورية الكردية على بغداد.
٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م: انقراض الدولة الكلهورية الكردية واسترجاع الشاه طهماسب مدينة بغداد.
٩٤١هـ/ ١٥٣٤م: احتلال السلطان سليمان القانوني لمدينة بغداد.
١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م: استيلاء الصفويين ثالثة على بغداد.
١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م: احتلال السلطان مراد الرابع لمدينة بغداد.
١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م: طغيان مياه الرافدين والحاقهما اضرارا جسيمة ببغداد.
١١٩٣هـ/ ١٧٩م: انشاء جامع سوق الغزل الحالي في موضع جامع الخليفة العتيق.
١٢٣٥هـ/ ١٨٢٢م: غرق بغداد وانتشار الطاعون فيها.
١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م: طغيان مياه دجلة والفرات وانهدام اكثر منازل بغداد، انتشار الطاعون.
١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م: تشكيل بلدية في مدينة بغداد وتعيين ابراهيم الدفتري اول رئيس بلدية لها.
١٣١٢-١٣٣٢هـ/ ١٨٩٤-١٩١٤م: طغيان مياه دجلة والفرات عدة مرات والحاق اضرار كبيرة ببغداد.
١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م: نسف الاتراك لبرج باب الطلسم (باب الحلبة) واحتلال الجيش البريطاني لمدينة بغداد (١١مارت/ ١٩١٧).
١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م: ابتداء الثورة العراقية (حزيران ١٩٢٠).
١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م: نشوب الحرب العالمية الثانية.
١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م: اعلان الثورة العراقية في ١٤ تموز منها وقلب الدولة العراقية الى جمهورية (عهد عبد الكريم قاسم).

اطلقت الاسماء على الاسواق إما بسبب تجمع صناعي مثل سوق الصفافير وسوق الحدادين وسوق اليمنجية أي صانعي اليمنيات (النعال) او على تجمع تجاري مثل سوق البزازين وسوق العطارين وسوق الازر وعباءات الكلبدون او على علم من الاعلام مثل سوق المولة خانة نسبة الى تكية المولوية وسوق حنون ومن اسواق الكرخ التي كانت بها شهرة عريضة.

أسواق بغداد القديمة

رفعت مرهون الصفار

١-سوق حمادة: ويظهر ان حمادة كان إما مالكاً بعض الدكاكين فيما مضى او كان عطاراً او نقالاً مشهوراً وسوق حمادة اطلق على المحله كلها التي تبدأ من خط الترامواي مقابل شاطئ الجودي الى مقاهي عكيل فإلى العنازية ثم خانات الاباعر وتتصل بسوق اللبن والشيخ علي وقد كان يسكن هذه المنطقة جماعات من السوامرة والتكارتة والجبور والجيالة (الكيالين) والعانيين والراويين حتى الجعيفر وتشتهر سوق حمادة عدا المواد التي كانت تباع فيه مثل بقية الاسواق بمقاهي عكيل وخانات الا باعر واسطبلات الخيل.

٢ - سوق العلاوي (جمع علوة) ويبدأ من جامع الشيخ صندل ويمتد حتى الحدادين في محله الدوريين قرب بيت مصطفى الخليل والى سوق الجصاصة في ساحة الشهداء وفي هذا السوق علاوي الطعام (الحبوب) وعلاوي الفرز والبزارات (معامل الدبس) والحدادون الذين يصنعون لوازم الفلاحين وكان ملتزم العلوة شاكر العاني ومسؤولها سليمان الهدبان يفرغان الساحة في ايام عاشوراء حيث تتجمع المواكب في طريقها الى بيت النواب.

-٣ سوق السراي: وهي على قسمين الاول يتجه بعد عبور الجسر القديم نحو سراي الحكومة (القشلة) وفي رأس السوق المختصون بكوة الطرابيس وهم من اليهود واشهرهم (يونا) الذي يلبس الصاية الصيفية شتاء وصيفاً اما سوق السراي من الجهة الثانية فاول ما يقابلك فيها الصيارفة (على الرجل) مع اكياس نفوذهم وخشخشة ريالات (ماريا تريزا) او المجيدات تمهيداً للدخول الى السوق للتبضع وكثيرا ما كانت المعارك والشتائم تدور بسبب الخلاف على سعر الليرة العثمانية الذهبية او الرشادية منها او الحميديه ثم يأتي دكان حسون ابو الجبن المشهور بمواقفه الوطنية وجبنه وعسله.

-٤ سوق هرج في منطقة الميدان: يتصدر السوق بيت عبدالحليم الحافاتي بشناشيله المطلة على شارع الرشيد. وكان الحافاتي من جملة مرتزقة الاوقاف ووظيفته مراقبة ساعات الحائط بجامع السراي مقابل القشلة وكان معمماً ذرب اللسان نسابه يذهب الناس الى ديوانه المشرف على شارع الرشيد ويدور الحديث فيه على الاغلب عن مثالب الاعداء والخصوم وخصوصا مثالب وعيوب الملك فيصل الاول وحاشيته لان الحافاتي لم يستفد من الملك فيصل شيئا ولم يتقبل دعوة واحدة للعشاء في شهر رمضان خلافا لبقية المعممّين مما اثار غضبه واستياءه وبعد مراقبته ومضايقته ونقل ما يدور في ديوانه الى الحاشية الملكية هرب الى قصره الكبيرفي محلة السفينة بالاعظمية. وفي سوق الهرج هذه يباع ويشترى كل شيء يخطر على البال او لا يخطر ابتداء من الاموال المسروقة وانتهاء ببيع الاثاث البيتية وفي هذه السوق مقاه ومطاعم ودكاكين وبائعو الخرَدة فروش والحاجيات المختلقة وافران وكل هذه لتلبية رغبات وحاجات سكان محلة الميدان.

-٥سوق العطاطير: وتبدأ من جامع مرجان ودرجات سلمه المؤدية الى صحنه المنخفض كثيرا عن الشارع ثم دكاكين العطارين وقد سميت السوق باسمهم اذ ينامون فيها ثم الى سوق الصابون في زقاق السادة ال الحسيني وخلال هذه السوق كانت دكاكين اليهود الذين يبيعون الحامض حلو والملبس وبقية الحلويات بالجملة.

-٦سوق الغزل: بجوار جامع الخلفاء ومنارته المشهورة وكان يباع فيها الغزل المجلوب من النساء البغداديات كما يباع فيها القطن الابيض والاسمر لعمل الدواشك واللحف ولم يكن في السوق المذكورة هذا التجمع الكبير لباعة وهواة الطيور والحيوانات الاليفة لان هاوي الطيور كان غير محبوب ولا محترم عند الناس. كانت في السوق بضعة دكاكين فقط لبيع الطيور وهي دكاكين صغيرة جداً وفتحاتها مستورة بالكواني خجلاً من هذه المهنة.

-٧سوق حنون وتبدأ من محلة قمبر علي وتنتهي بسوق الشورجة وهي قسمان حنون الكبير وحنون الصغير وتباع في السوقين مختلف حاجات المأكل والمشرب. واسواق اخرى مثل سوق الصاغة وسوق علاوي الصدرية وعلاوي العوينة وغيرها من الاسواق.

كنا في فصل الربيع من عام ١٩٣٧م اي قبل نصف قرن بلا زيادة ولا نقصان وكنت اذ ذاك في النجف بين ندوة (الهاتف) وجمعيتي، الرابطة و منتدى النشر لااكاد افارق احداها الا حين ازور صديقا او قريبا وفي يوم من ايام ذلك الفصل وفد صديق من البصرة فمكث بضعة ايام يشاركني في النوم واليقظة ثم عرض علي ان نزور بغداد ولم اكن قد رأيتها عدا محطة القطار في الجانب الغربي حيث يذهب بنا القطار انا ووالدي عليه الرحمة من هذه المحطة الى مدينة الكاظمية، فقد كان القطار الاتي من البصرة يصل الى هذه المدينة المقدسة وقلت لصاحبي:

الراحل / ابراهيم الوائلي

بغداد
بحيرات من النور!

اما الان فلا بأس من زيارة بغداد عاصمة العراق والتطواف في شارع الرشيد الذي نسمع به، واقلتنا السيارة من النجف الى كربلاء ولم يكن الطريق الا رمالا غير معبدة ثم اقلتنا سيارة اخرى من كربلاء الى بغداد بعد اداء الزيارة لاضرحة الشهداء ومن (علاوي الحلة) في جانب الكرخ انطلقنا نمشي على اقدامنا الى شارع الرشيد حيث ينتظرنا صديق اخر في احد الفنادق، ولم يكن معي سوى حقيبة فيها بعض الثياب والكتب.

وعبرنا على جسر الخشب الذي يصل صالحية الكرخ بجانب الرصافة ولم نجد مشقة في عبوره اذ كنا على وفرة من الشباب وكان الجسر غير مثقل بالسيارات او المارة فقد كانت السيارات انذاك لاتتجاوز بضع مئات في بغداد، ولم يكن سكان العاصمة قد بلغوا المليون، واستقرنا المكان في فندق يطل على شارع الرشيد قرب السيد سلطان علي ولم يكن يزعجنا شيء في الفندق او الشارع فربما كانت ابواق السيارات القليلة التي تمر بين حين واخر اشبه شيء بمعازف تطلق اصواتها في الفضاء بلا رتابة ولا تنسيق.

كان مضيفنا – وهو من اغنياء البصرة- قد اصطحب سيارته معه وكان سائقها بصريا من اولئك السواق المعروفين بدماثة الخلق فلم يبخل علينا بالتجول هنا وهناك حين كانت بغداد انذاك لاتتجاوز شارع الرشيد طولا في جانب الرصافة ولم يكن الكرخ باكبر شأنا من الرصافة، بل كان دونها في السعة والاسواق والتجارة ودوائر الدولة، وكانت نهاية شارع الرشيد عند الباب الشرقي هي نهاية مدينة بغداد القديمة فما ان تركنا الباب الشرقي وتجاوزنا تمثال عبدالمحسن السعدون في مكانه القديم قليلا حتى وقفت بنا السيارة عند ساقية مترعة بالماء وهو ينصب فيها من دجلة وعلى جانبيها مزارع الخس واستمتعنا بجلسة طيبة حول الساقية وبأكلة خس لذيذة وكان ثمن الرأس الواحد اربعة افلاس.

لم يكن في بغداد انذاك سوى جسرين من الخشب احدهما يصل الكرخ بشارع المتنبي في جانب الرصافة اذ ينتهي عند المحاكم، اما الثاني فيصل صالحية الكرخ بالرصافة مثل الثابت الان، وجسر ثالث مثلهما يصل الاعظمية بالكاظمية.

وكانت الشركات الانكليزية قد شرعت ببناء الجسرين الثابتين في بغداد ليحلا في محلي القديمين، وطفنا في الشوارع القليلة وكان علينا او على مضيفنا دفع عشرة فلوس او اكثر كلما عبرت السيارة على جسر وقد كان هذا المقدار يسمى (رسم العبور) على السيارات وفارقت بغداد بعد يومين او ثلاثة ثم عدت اليها في صيف سنة ١٩٤٠م مستجيبا لدعوة من دار الاذاعة ثم عدت بعد شهر من السنة نفسها ولم اجد ما يستحق الذكر سوى الجسرين الثابتين وقد استقرا على ذكرى جسري الخشب، ثم استقر بي المطاف في بغداد ابتداء من خريف ١٩٤٠م.

كانت المقاهي في بغداد اكثر شيء يثير الانتباه وقريب منها المطاعم الكبيرة والصغيرة وكانت عشرة فلوس تكفي ثمن غداء او عشاء في مطاعم الكرخ الصغيرة اذ لم تكن الحرب قد اثرت في السوق الا في سنة ١٩٤٢ ولم يكن ثمن علبة السجاير يتجاوز ثمانية فلوس او عشرة وكانت اجرة السرير في فندق الملوك لاتتجاوز خمسة وعشرين فلسا للبلة الواحدة وكان هذا الفندق يطل على دجلة في جانب الكرخ وهو من اجمل الفنادق ذوات الجو الشاعري ولي فيه مايشغل حيزا من مذكرات العمر.

ولم تكن في بغداد مبان عالية انذاك ولعل اعلى مبنى لايتجاز ثلاثة طوابق وكان من هذا النوع على قلته جدا فندق يطل على دجلة عند ساحة الشهداء من جانب الكرخ وما يزال على حاله وقد اتخذ سطح هذا الفندق في ثورة مايس من سنة ١٩٤١م مقرا لثلة من الجنود كان عليهم مقاومة الطائرات وكان علينا الا نبارح الساحة لنؤدي ماعلينا من حراسة اولئك الجنود وهم فوق السطح حول مدافعهم يرصدون طائرات الانكليز.

لقد كنا نبغض هؤلاء المستعمرين لسببين اولهما الاحتلال الذي كان جاثما على صدر العراق وثانيهما ببعهم فلسطين على الصهاينة، ولذينك السببين انفجرت ثورة مايس واستشهد فيها الكثير من ابناء العراق.

وتعود بي الذاكرة الى تلك الفتاة التي كانت تسير في شارع الرشيد وقد غطت وجهها بالبرقع الاسود شأن معظم النساء في بغدد ولاسيما الطالبات في حين ان احدى المعلمات كانت تؤثر السفور على الحجاب واصبحها كل يوم على جسر الكرخ وانا ذاهب الى الثانوية الاهلية عند الباب الشرقي.

مازلت اذكر ازدحامنا على شباك التذاكر في احدى دور (السينما) لنشاهد (حرب الاساطيل) كانت اجرة الدخول عشرين فلسا، وازدحمنا مرة على باب الدار من دور السينما الصيفية في الباب الشرقي وتسمى (سينما غازي) لمشاهدة فلم (السابحات الفاتنات) وهو رق ملون وقد تزاحم معنا جنود الانكليز.

وربما استخفت بنا خطواتنا فانتجعنا ملهى نسمع فيه ونرى وقد يكون (ملهى المعرض) في باب المعظم فقد كان هذا من افضل المناجع لقضاء ليالي الصيف الحارة، لقد ذهبت – حقا- تلك النزوات منذ اواخر عهد الشباب ولم يبق منها سوى الذكرى.

لابد من التطور في حياة الانسان وفكره وانسانيته والا لما تطور المجتمع في حضارته وثقافته.

لم يكن في بغداد انذاك من المعاهد العالية سوى كلية الحقوق وكلية الطب ودار المعلمين العالية اما الان ففيها اربع جامعات ضخمة يكفي في ضخامتها ان يكون لجامعة بغداد سبع عشرة كلية وغيرها كمعاهد التمثيل التي اتاحت لنا ان نرى وجوها تصوغ وتعبر على المسرح وفي التلفاز وتبدع وهي في قمة الاداء لولا تخلف النص، بغداد التي كانت تقطع ابعادها مشيا على الاقدام في دقائق قد لاتصل الى عشرين دقيقة صارت اليوم اضعاف ماكانت عليه شموخا وعمرانا وحضارة.

قلت لصاحبي قبل ليال خلت، ونحن نعبر على جسر بري بين بغداد والقناة ارأيت هذه البحيرات المتوجة بأنوار الكهرباء وهي تتألق على مد البصر؟ قال: وما هذا التشبيه قلت هكذا اراها، اما انت فقد تراها سماء هبطت بنجومها على سطح الارض.

لقد ذكرتني هذه البحيرات المتألئة المتموجة بالفيضان في سنة ١٩٥٤ م يوم خرجنا في سيارة الصحافي الراحل جبران ملكون لنطل على بحر هائج لايرى له ساحل وقد اصطخبت امواجه وهي تحمل ماخف وثقل من الاشجار والنوافق، اما الان فلست ارى الا بحيرات من النور تتموج فيها مصابيح الكهرباء مستقيمة وغير مستقيمة منها الابيض ومنها ذو الالوان المتنوعة، قال: والعمارات الضخمة، قلت: انها ضخمة حقا وكثيرة جدا ولكن ما شأني وشأنها وانا لا املك شبر ارض في بغداد؟ قال: وهب انك لاتملك شبرا افليست هذه العمارات قد نهضت بعبء كبير؟ قلت: لقد اخجلتني.

قال: والجسران هل لهما ثالث ورابع و..؟

قلت: اجل السنا قد عبرنا على اثني عشر جسرا في بغداد؟ ثم ركست عيناي في امواج النور هنا وهناك! لابد ان احببنا بغداد فهي العاصمة الكبرى.

وقديما قال الشاعر:

وحبب اوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا..

مجلة الف باء تشرين الثاني
1979

مقاهي بغداد . . في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

في زمن الوالي جغالة زادة سنان باشا سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م فتح اول مقهى في بغداد في موقع خان الكمرك المتصل خلفه بالمدرسة المستنصرية وبابه على الطريق المؤدي الى سوق الخفافين وهو السوق الواقع فيه جامع الخفافين وبعدها فتح مقهى ثان كان يستخدم غلمانا ملاحا ملابسهم فاخرة لتقديم القهوة وقبض الدراهم وهناك جوق موسيقي في المقهى والتردد على المقهى اكثر ما يكون ليلا.. اما في الشتاء فنهارا، وهذا المقهى قريب من نهر دجلة يقع بالقرب من جامع الوزير الذي اصبح موقعه الان عند رقبة الجسر في الجانب الشرقي في حدود شارع المأمون حاليا. ومهما يكن فأن للقهوة العربية اصالة مميزة ونكهة معروفة ولا تزال بعض المقاهي العربية في بغداد تقدم القهوة لزبائنها مجانا كتقليد شعبي لاصالتها، ولا يزال حتى الان بائعو القهوة المتجولون في شوارع بغداد لا يضعون اسعارا محددة لها بل ان شارب القهوة هو الذي يدفع ما يحلو له ويشرب باعتبار ان القهوة يجب الا تباع ابداً.

وكانت بغداد مشهورة بمتنزهاتها ومجالسها الادبية والعلمية وبمحافلها التجارية.. فلا تخلو محلاتها من مجلس او قهوة يجتمع فيها الناس من وجوه شتى وانحاء مختلفة يقضون اوقاتهم فيها بالاحاديث الشيقة والفكاهات المسلية ويحلون فيها مشاكلهم الخاصة والعامة من تجارة وزراعة وصناعة او ملك او عقار او علم او ادب ومن المقاهي المعروفة فيها.

مقهى الخفافين:

من المقاهي البغدادية ويقع عند مدخل جامع الخفافين في منطقة المصبغة بالرصافة ويناهز عمر هذا المقهى الـ ٣٠٠ سنة ثم يأتي بعدها مقهى الشط القريب منه في نفس المنطقة والمقهى البيروتي ومقهى الشابندر عند مدخل سوق السراي وغيرها. وتمتاز هذه المقاهي بالطراز البغدادي الاصيل و النقوش على الخشب والاقواس عند مدخل الابواب وكانت هذه المقاهي منتديات للادباء والشعراء وكذلك التجار والصاغة وارباب الصناعات. وقد حفظ الناس لمؤجريها ولروادها من الاخبار والطرائف واللطائف وفي بعضها واثناء الفراغ يلعب روادها الشطرنج والنرد والدومينو واقامة حفلات الجالغي وفي الاعياد يتخذ عمال بعض المقاهي طريقة خاصة للحصول على هدايا العيد من الرواد بأن يحملوا قناني ماء الورد ينثرون ماءها على الجالسين فينالون الهدايا..

وتمتاز العديد منها بالفعاليات الخاصة بشهر رمضان المبارك وبلعبتيها المشهورتين التي تتزاحم الشخصيات المعروفة ووجهاء البلد على ممارستهما في حينه وهما لعبة الصينية والمحيبس.

مقهى الشط:

يأتي بعد مقهى الخفافين بالقدم. ولكن بالاهمية يكون الاول نظرا لموقعه المتميز على نهر دجلة وبالرصافة ثانيا لتقديمه الحفلات والمقام والجالغي البغدادي والذي تفتقر اليه مقهى الخفافين لموقعه بباب الجامع.

ومقهى الشط على شكله. مرتفع ومنخفض في الجانب الاخر تنزل له من ثلاث درجات على سلم ويكون من طابقين علوي وسفلي ويعتبر مقهيين ويعود كل واحد منهما لمالك فمقهى الشط تعود للحاج علي اما المقهى الثاني في الطابق العلوي فيعود لحسن صفو.

كان سقف المقهى من الخشب ويستند الى اعمدة خشبية ايضا (الدلك) ذات طلعة امامية على النهر وتحتوي على النقوش البغدادية وكانت مظللة بالالوان ويجلس الزبائن على درجات من طوف اللبن ويفرش عليها حصير من البردي وفيها ١٢ عاملا من العمال المهرة وتنار بواسطة فوانيس مستوردة من المانيا وهي كبيرة الحجم ولا يوجد مثلها في بغداد وتعلق في السقف ولها عامل متخصص في انارتها ولا تزال الحلقات حتى الان رغم احتراق المقهى جراء احتراق خان التمر واشتعال النيران في دور فيها وقود.. ويعتبر مقهى الشط من المراكز التجارية المهمة قديما على الشاطئ لان الموقع كان نقطة نهاية المراكب والدوب التي تنقل التجارة والمسافرين مثل زبيدة وزنوبيا التي تعود الى بيت لنج. والبواخر احسان وكوت وخليفة وحميدي التي تقوم بنقل الحنطة والشلب بالاضافة الى المسافرين.. وكذلك كونه المقهى سوقا للتداول بقضايا البيع والشراء حتى قضايا الخطوبة والزواج والاعراس كانت تبدأ من المقهى.

ومقهى الشط الوحيدة الذي كان يجاز ايام رمضان لموقعه واهميته ولبعده من الشارع وكونه مركزا تجاريا للمداولة ولا يمكن الاستغناء عنه حتى في رمضان.. كان يلتقي فيها وجوه بغداد المعروفة مثل عبد القادر باشا الخضيري وهو صاحب مراكب ترسو على الشاطئ امام المقهى وقاسم باشا وحسن باشا والحاج علي الجلبي وعبد القادر دله صاحب خان دله وابراهيم صالح شكر والرصافي والزهاوي في بعض الاوقات.

المقام الجالغي البغدادي. كان من المقهى حيث كان متخصصا بتقديم عروض لرواده ولكن نسمع اصوات قراء المقام العراقي المشهورين. والجالغي البغدادي. فأحمد زيدان، رشيد القندرجي وكان يسمع صوته الى جانب الكرخ. وذلك لصفاء صوتهم وطاقتهم اضافة لهدوء الجو ليلا اضافة الى القراء المعروفين خضوري شمه ويوسف بتو وسيد جميل اضافة الى عتابة عكار وكان المقام يصدح يوميا. التياترو. كان يقام بالطابق العلوي من مقهى حسن صفو. فقد اشتهر بتقديم الحفلات الراقصة التياترا. اذ اقتصر المقهى الاول على الجالغي والمقام فقط حيث كان يقدم حفلات يومية راقصة واحيانا مرتين عصرا ومساء ومن الراقصات المشهورات (طيره وفريدة وتنوورحل) وغيرهن.. وكان المقهى يحصل على جميع مستلزماتها من شاي وسكر ونومي بصرة واخشاب مجانا على شكل هدايا من زبائنها الموسرين.

قهوة القلعة:

شيد على اطلالها بناء حديث ١٩٥٤ تضم هذا المقهى هواة الطيور وجماعة كبيرة من الخرس والبكم.. وفي زاوية منها تضم هواة مناطحة الاكباش.. وزاوية اخرى تضم زمرة من هواة مهارشة ديكة الكسار.. فهواة الطيور تراهم اذا دخلوا في حديث الطيران اخذ ضجيجهم يعلو ليبرهن كل منهم على ان طيوره اميز واحسن من طيور غيره واكثر طيرانا. ولانه اذا اصطاد طيورا غريبة اثناء طيوره يزداد فرحة وابتهاجا. وكذلك هو فرح ومسرور لان له طير قد بقي طائرا ثلاثة ايام بعد ان هده من بعقوبة او شهربان ثم عاد الى برجه في بغداد. اما هواة الديكة.. فمن المعروف ان الديكة الهراتية تتعارك حتى يسيل الدم من جسمها ولا سيما الرأس.. ويقع الديك المغلوب المكسور على الارض ثم يأتي صاحبه فيأخذه.

اما الخرس فالكلام بينهم بالاشارة المعهودة.. فلا تسمع منهم الا همسا كأنهم نذروا للرحمن حسوما.. واذا اعترض معترض من مطلقي اللسان على احدهم ترى هؤلاء الخرس يجتمعون بكليتهم عليه وينصرون لاخيهم الاخرس وهكذا.

اما هواة مناطحة الخراف فكانت كباشهم تتناطح بحيث اذا اتصل بعضها ببعض تكسرت قرونها من شدة الضرب.

كان الظرفاء يقصدونها بالزيارة بين آن واخر ليصغوا لنكات هؤلاء الهواة من الناس الذين يضمهم سقف هذه القهوة.. وقد ذهب هؤلاء بزوال هذه القهوة والتي كانت تعرف بقهوة السيد بكر او بقهوة القلعة وكانت متصلة فعلا بالقلعة.. على الجانب الايمن بدخولك الى الشارع الفرعي المؤدي الى النادي العسكري من ساحة الميدان.

قهوة البلابل:

هذه القهوة مشهورة بمن يرتادها من هواة تربية البلابل.. تقع في محلة الباردوية شارع الجلالي. وقلما يحضرها من غير صنف هواة البلابل وحديثها لا يخرج عن دائرة الكلام عن الدواجن. وبالاخص البلابل وانواعها وطرق تربيتها وكيفية صيدها والتفنن في صنع الاقفاص وزخرفتها. وتفاخر هذا الصنف ببلابلهم كتفاخر الناس بخيولهم ا لاصيلة العريقة في النسب فيحفظون اصل البلبل من أمه وأبيه كما تحفظ انساب الخيل وارساسها وقد يجعل التنازل بهم لما يدور من التفاخر وربما يؤدي الى ما لا تحمد عقباه. وكانت هذه القهوة باقية لحدود سنة ١٩٥٠.

قهوة الاورفلية وقهوة سعيد افندي:

كانت بغداد في العهد العثماني مدينة محدودة الجوانب لا تتجاوز عماراتها ربع ما عليه بغداد بين سورها الشرقي.. فكنت اذا وصلت الباب الشرقي من بغداد لم تجد بعد عبدان قرية كما يقول المثل.. لاجل ذلك كان البغداديون يتخذون من اطراف بغداد وضواحيها العامرة بالبساتين والمزارع والانهار والمتنزهات يقضون فيها اوقات الفراغ والراحة ويستنشقون نسيم تلك الارياض.. ومن المناطق التي اتخذت متنزها. منطقة الباب الشرقي.. وكان الناس يخرجون اليها عصر كل يوم من ايام الربيع والصيف والشتاء ايضا زرافات ووحدانا رجالا وركبانا يمتطون ظهور الجياد العربية. وكان في تلك المنطقة محلان عامان للجلوس.. احدهما يدعى قهوة الاورفلية. وهذه تقع على جدول يسمى بجدول الاورفلي. يتشعب من نهر دجلة فيسقي المزارع والبساتين (وقد زال اثره سنة ١٩٣٠ وبنى على اطلاله سينما السندباد). والثانية قهوة سعيد العبد. وكان يديرها سعيد العبد واولاده. وهي تبعد عن قهوة الاورفلية بمسافة ١٠٠م تحيط بها البساتين وحقول الخس وقد سميت بعد تشييد الدور عليها بمحلة بستان الخس ولم تكن القهوة منظمة مثل مقاهي بغداد وانما هي بضعة تخوت رثة بالية عليها حصران قذرة ممزقة متكئة على حائط طوف لبستان الاورفلي من (ناحية شارع السعدون الحالي وبالقرب من محلة البتاوين اليوم مقابل بستان الخس) وكانت المنطقة يومذاك ارضا بلقعا اغلبها تراب تغور فيه الاقدام وجزء قليل منها مزروع بالخس ولا يرتاد المقهاة احد في النهار وانما يؤمها الناس عصر كل يوم فيمتطون اليها صهوات جيادهم لبعدها عن المدينة حاملين معهم اسلحتهم خوفا من اعتداء اللصوص وقطاع الطرق.

قهوة البيروني:

في جانب الكرخ رأس الجسر القديم.. وتعتبر من المقاهي الصيفية وهي قديمة العهد وكثر روادها لاريحية مستأجرها الحاج محمد من اهالي بيروت سكن الكرخ سنة ١٣١٥ وتوفي سنة ١٣٣٤هـ.. ويقال ان الحاج محمد ليس لبنانيا وانما هو عراقي سافر الى بيروت وعند عودته سمي بالبيروتي.

وكان يلبس الصاية والجراوية وعماله مهرة جدا.. منهم الجايجي والتنتجي والساقي وابو البوش. وكانت مفتوحة من صلاة الفجر حتى ساعة متأخرة من الليل والدخول اليها عبر السوق المعقود على الجهة اليسرى من (جسر الشهداء الحالي) عدا نزولك للكرخ. وكانت كافة المقاهي في بغداد تأخذ عانة اي (٤) فلوس من روادها ما عدى رواد البيروتي بـ ٥٠) فلوس. وقد هدمت في بداية سنة ١٩٦٥.

قهوة المميز:

كانت في الاصل حديقة. وقد شيد متولي جامع العادلية على قسم منها قهوة سميت بقهوة المميز.. وهي تقع في جانب الرصافة في منطقة هادئة جميلة تطل على دجلة باتصال جسر بغداد القديم وتمتد فتصل بجدار جامع الاصفية وهي من اوقاف عادلة خاتون بنت احمد باشا والي بغداد كما انها تجاور المدرسة المستنصرية وهي قهوة مشهورة لموقعها وفعالياتها حيث كانت اشبه بالمدرسة للموسيقى والفنون والغناء العراقي. واصول المقامات العراقية التي تمارس فيها. حيث يرتادها مشاهير المغنين واعلام الموسيقى وعشاق المقام العراقي ويتبارون بالاصوات والانغام والضرب على الالات الموسيقية منها السنطور.

كتاب بغداد ايام زمان
فخري الزبيدي

بغداديات عزيز الحجية

اماكن اللهو في بغداد

الكسلات البغدادية

بعد انتهاء العيدين (عيد الزغير وعيد الجبير) ولاسيما في موسم الربيع يخرج البغداديون من بيوتهم صباح كل يوم ولمدة اسبوع وفق الروزنامة التي يحفظها كل منهم عن ظهر قلب فتأخذ النساء اطفالهن وهم بملابس العيد الزاهية ومعهن السماورات (وهي جمع سماور وهو جهاز لاعداد الماء الحار المستعمل في تخدير الشاي واصل الكلمة من الروسيه samovar) وعدة الشاي والقدور التي تحوي غالبا الدولمة او كبة الحلب او العروك وغيرها من الاكلات البغدادية مع بعض الافرشة الخفيفة كالزوالي الصغيرة او البسط والمنادر وعلاليك الفاكهة للتمتع بمباهج الطبيعة الزاهية التي تنعش النفس ولزيارة الاضرحة والمقامات حيث يتخذن مجالسهن في ظلال الاشجار قرب السواقي او في ساحات المزار المقصود وفق تقويم الكسلات البغدادية.

وينتشر حيث الكسلة باعة الحلوى والكرزات والطرشي والمرطبات (كالشربت واللبن والسيفون وغيرها) والمأكولات (كالجرك والبقصم والسميط وغيرها) وهم ينادون على بضائعم ترويجا لها

ويشير تقويم الكسلات الى اختصاص يوم السبت بزيارة مرقد الامام الكاظم (ع) في الكاظمية والاحد بزيارة مريم بنت عمران في كرادة مريم في جانب الكرخ والاثنين بزيارة مرقدي الشيخ عمر السهروردي والسيد ابراهيم والثلاثاء بزيارة مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني في محلة باب الشيخ في الرصافة والاربعاء بزيارة مرقد ابي رابعة في الاعظمية والشيخ جنيد في جانب الكرخ والخميس بزيارة مرقد السيد ادريس في الكرادة الشرقية في جانب الرصافة والجمعة بزيارة مرقد الامام الاعظم ابي حنيفة بالاعظمية.

ولابد للبغادة من استيفاء الكسلات جميعا اثناء العيد في اسبوع موصول .ويذهب الاستاذ هادي العلوي الى ان اصل الكسلة مجهول وكذلك المعنى الذي ينطوي عليه واغلب الظن انها وجدت بدافع الرغبة في مداومة المرح والتعطل الذي يستروحه الناس طوال ايام الاسبوع .وفي مجتمع ضيق يحفه الحرمان كالذي زاملته بغداد في القرن الماضي مثل هذه النزعات تأثيرها القوى على الافراد

ان حاجة الناس الى التفسح والخروج من اسر القيود الاجتماعية التي تكبلهم تؤلف على الدوام حافزا يدفع بهم نحو البحث عن منافذ يتنفسون من خلالها .وهكذا كانت لايام العيد في بغداد بما تحمله للناس من مسرات اهميتها البالغة واصداؤها البعيدة في النفوس وكانت الكسلات مناسبة فرعها البغداديون من اعيادهم تطمينا لهذه النزعة .ولعل اطلاقهم اسم (الكسلة)على هذه الايام ما يؤيد هذا الظن او يقربه من الصواب واتماما للفائدة توفرت على تخليد الكسلات البغدادية التي ادركها الانطفاء بعد ان زحف العمران الى ضواحي بغداد وأزال بساتينها الكثيفة التي كان يؤمها البغادة في كسلاتهم مسلطا الاضواء على ما يكتنفها من جذور تضرب بعيدا في اعماق تاريخنا الاجتماعي

مريم بنت عمران

ان الضريح الموجود في وسط ناحية الكرادة في بغداد ينسب الى السيدة مريم بنت عمران والدة السيد المستح التي اطلق اسمها على الكرادة

والمرجح ان هذا القبر مثوى امرأة صالحة من نساء العهد العثماني اسمها مريم وقد التبس الامر على الناس فشاع بينهم انها السيدة العذراء بينما العذراء لم تزر العراق ولا عهد لها بالكرادة

وقد شاهدت هذا القبر بتاريخ ١-٩-١٩٦٧ فوجدت امامه ساحة تبلغ مساحتها حوالى الف متر مربع يحيط بها سور مشيد بالطابوق والاسمنت ارتفاعه متر ونصف له باب حديد عرضه حوالي عشرة اقدام وارتفاعه ارتفاع السور ، وقد شيدته وزارة الاوقاف سنة ١٩٥٨ كما عملت من المرأة التي لديها مفاتيح الباب وقد اخبرتني ـــ حفظها الله ـــ ان هذه الارض قد اشتراها (الحاج حسن الخزعلي) وحسبها وقفا للسيدة مريم وان المتولي الحالي لهذا الوقف هو (مجيد بن نعمة) وفي ارض الساحة ثماني عشرة نخلة وثلاث اشجار كالبتوس وينتشر في ارجائها العاقول وبعض الاشجار البرية وفي الجهة اليسرى منها غرفة متداعية بلا سقف مساحتها ٤×٥ م (٢٠ مترا مربعا)وقد تصدعت جدرانها الاربعة وظهر جليا للعيان ان بناء من الشكنك والطين مملوجة بالجص وفي وسط هذه الغرفة قبر مريم وهو عبارة عن مجموعة من المرمر تراكم بعضها على البعض بلا تناسق وقد احيطت ببقايا سياج خشبي اكلته الارضة بعد ان غطيت بقماش اخضر لماع حديث الصنع .وعند خروجي من هذا المزار صادفتني احدى الكراديات وبادرتني بقولها ...انخيها تره هيه أم النطيات.

ابو رابعة

ومنهم من يسميه أم رابعة او رابعة بنت جميل ومذهب الدكتور مصطفى جواد ان بالقرب من جامع الرصافة مقام قبر عبدالله العلوي وموضع هذا القبر يعرف اليوم بأسم (ابي رابعة)و(أم رابعة) وهو يقع على مسافة قليلة من شرق شارع الامام الاعظم بازاء منعطف الضريح الملكي

والسبب في نسبته الى أم رابعة ان السيدة شمس الضحى شاهلبني الايوبية بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن صلاح الدين زوجة الامير ابي العباس احمد بن المعتصم بالله العباسي ثم زوجة علاء الدين عطا ملك الجويني والي العراق والاحواز وكانت قد انشأت عند هذا المشهد رباطا للصوفية ومدرسة سميت بالمدرسة العصمتية ويفهم من اسم المدرسة ان هذه السيدة كانت تلقب بعصمة الدين اى ذات العصمة ولما توفيت سنة ٦٧٨ هـ دفنت في التربة التي بنتها بجوار مدرستها عند مشهد عبدالله المذكور .وفي سنة ٦٨٥ هـ توفيت ابنتها رابعة العباسية بنت الاميلا احمد ودفنت في تربة والدتها فرابعة وأم رابعة مدفونتان هناك

وقد زرت قبر ابي رابعة بتاريخ ١٥-٣-١٩٦٨ ويقع في الاعظمية محلة النصة على بعد ٥٠٠ متر تقريبا من الطريق الذي يلي عمارة فاروق الجدة في داخل البيت المرقم ٦٣ وهو بيت بسيط مشيد بالطابوق والجص ذو طابق واحدوبابه خشبي يتألف من فردتين .ويفتح باب الدار على ممر مكشوف طوله حوالي عشرة امتار ويؤدي الى باب حديد حديث الصنع مصبوغ بلون اخضر وفتحه لي صاحب الدار (نعمان مسعود) الذي ورث قيمومة رابعة بنت جميل عن اجداده وقد ابرز الي ورقة مسجلة عليها اسماؤهم هذا نصها (مهدي ونعمان اولاد مسعود بن محمود بن احمد بن حبيب بن فياض بن نافع بن عميرة بن ابراهيم بن على بن بطرس بن احمد بن شهيد العبيدي).ويفضي الباب الحديدي الى ممر (طوله حوالى ستة أمتار وعرضه حوالى مترين)مبنى بالطابوق والجص وقد عقد سقفه على شكل اقواس وفي منتصف الجدار الايسر من الممر باب خشبي واحد في وسطه صفان من مسامير نحاسية دائرية الشكل قطر الواحد حوالى اربعة انجات وفي كل صف خمسة مسامير ثبت الباب بالجدار بأطار خشبي وفي الجهة البعيدة من الجدار حلقة قطرها خمسة انجات تقريبا فوقها سلسلة حديدطولها حوالى قدم واحد وتتألف من ثلاثة زردات (حلقات) والغرفة مربعة الشكل طول ضلعها حوالي اربعة امتار وسقفها معقود على شكل (عرقجين)نصف كرة بالطابوق والجص وفي كل جدار شباك مربع الشكل مغطى بأطار خشبي (قيم)مربعات صغيرة وارض الغرفة مبلطة بالطابوق ومفروشة بحصير الخوص والكمبار وفي وسط الغرفة صندوق من الخشب الجاولي ارتفاعه عن الارض حوالى متر وهو مغطى بقماش اخضر لماع (كريم ستن)وفيه يرقد الشيخ حماد الدباس بن مسلم الذي يعتقد السيد نعمان انه زوج رابعة بنت جميل .اما قبر رابعة فهو في داخل الجدار المقابل لمدخل الغرفة وقد اثبت على الجدار شباك خشبي مربع الشكل طول ضلعه حوالى قدمين وهو مقسم الى مربعات صغيرة وفوقه توجد رازونه صغيرة فيها صخرة على هيئة شبه منحرف وحجمها يملأ الكفين وقد اخبرني السيد نعمان انها مكتوبة بحروف صغيرة ولكني لم اتمكن من رؤيتها . كما اخبرني بأن عددا من الزائرين الاجانب رغبوا في شرائها ،الا انه رفض بيعها لاعتقاده لقابليتها على شفاء (وجع البطن) اذا وضعت على مكان الالم .هذا وقد انيرت الغرفة مؤخرا بمصباح كهربائي

السيد ادريس

لم أجد مصدرا او جذرا تأريخيا لمزار السيد ادريس الذى يقع في الكرادة الشرقية .وانني قد زرته صباح يوم ٣١-٣-١٩٦٨ فوجدته بناء جديدا يقع في شارع فرعي يبعد عن الشارع العام (الذي يربط الجسر المعلق بمفرق الكرادة داخل)بحوالي ٥٠٠م في وسط مقبرة اسلامية عامة يحتضنها سياج حديث ارتفاعه حوالى متر ونصف في وسطه باب عرضه حوالى ثلاثة امتار كتب على مدخله في لوحة بيضاء مساحتها قدمان مربعان ماهذا نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم ،ان الله لايضيع أجر من احسن عملا قام بتشيد السياج الخارجي لمقبرة الامام السيد ادريس في الشهر التاسع سنة ١٩٦٣ ألسيد احمد جفال البجري ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ويؤدي الباب الخارجي بعد قطع عشرين مترا تقريبا على ارض مبلطة بالكونكريت عرضها حوالي ثلاثة امتار الى بناء عال مربع الشكل طول جبهته حوالي ثلاثين مترا وفي وسطه مدخل المزار وفي كل من جانبيه (ليوانان) لجلوس الزائرين وتفتح الباب على مصلى يحيط بغرفة القبر من جميع الجوانب .اما غرفة القبر فعليها قبة عالية مكسوة بالقاشان الازرق وفي وسطها صندوق خشبي ارتفاعه حوالي مترين وعرضه ثلاثة امتار مصبوغ باللون الجوزي وارضه مبلطة بالموزائيك وقد قام بتجديد مقام السيد ادريس علوان عيسى الكوزل (وهو من اهالي الكاظمية) على نفقته .ورأيت قيم المزار وهو (عبدالامير عيسى) فوجدته في السبعين من عمره يرتدي دشداشة وسترة وعلى رأسه (غترة يشماغ)ويتوكأعلى عصا والجدير بالتنويه ان في ساحة المقبرة وخلف ضريح السيد ادريس غرفة مشيدة بالطابوق والجص اتخذت مغسلا للموتى ....وفي تلك الساحة ايضا عدد من الاشجار وثماني عشرة نخلة .وقدقيل لي أن (السيد ادريس)كان سيدا شريفا بلغ من تدينه وتقواه حدا جعل الناس يتهافتون على كسب وده والتبرك به ويقول الاستاذ يونس سعيد ان احد المؤلفين تنسم اخبار سير المتصوفة فأخبرني ان ادريسا هذا كان رئيسا للخياطين فلما توفي اعتزم الخياطون الاستمرار على موالاته بزيارة قبره في كل سنه .فكانوا يحجون اليه وهم بكامل ملابسهم الجديدة المزركشة بما كانت تجري عليه سنن الازياء في ذلك الوقت فتعقبهم الجمهور الى هذه الزيارة معجبين بوفائهم لامامهم وبزينة ملابسهم المتميزة عن سائر الازياء هذا وعسى ان يوفق غيري للوقوف على جذر تأريخي للسيد ادريس رحمه الله

عن كتاب بغداديات الجزء الثالث

الكاريات
في تراث البغداديين (ايام زمان)

اغلب الظن.. ان كلمة (الكاريات) او (الكاري) لم تتسرب الى اذان الجيل الحالي، ولا غرو في ذلك، فان هذه المفردات كانت تشنف اسماع الجيل القديم، جيل اجدادهم وابائهم البغداديين ايام زمان بما تثيره في نفوسهم من ذكريات جميلة عطرة.. يوم لم تكن بغداد ترتدي الحلل القشيبة الباهرة كما هي اليوم.. يوم كانت طرقاتها موحلة، وشوارعها متربة لاعهد لها بالاسفلت او التبليط، ومواصلاتها البرية الداخلية والخارجية مقصورة على حيوانات الركوب المألوفة.

فخري حميد القصاب

والكاري او الكاريات هي اللفظة الشعبية التي شاعت في بغداد،، واصلها قداد اي (الترامواي) وتعني المركبة التي تمشي على سكك ممتدة من الحديد، وقد اتخذت لنقل الركاب من الكاظمية الى الكرخ، وقد سمته جريدة الزوراء التي صدرت في بغداد عام ١٨٦٩ ترانموي واصلها من الفرنسية ترين وي الى طريق القطار اما اهالي الكاظمية فكانوا يسمونها (عرباين بغداد)..

وكانت هذه العربة مؤلفة من طابقين يجرها حصانان في الايام العادية، وكانت يومذاك شائعة الاستعمال في اسطنبول وفي بعض المدن الاوربية.

ولكي ننقل القارئ الكريم الى عهد البغداديين بـ(الكاريات) يجدر بنا ان نعود الى ماقبل اكثر من قرن.. يوم شعر الوالي مدحت باشا (الذي امتدت ولايته لبغداد من عام ١٨٦٩ الى ١٨٧٢.. ان وسائط النقل مازالت بدائية لاتكاد تلبي حاجات الناس الذين كانوا يتطلعون الى مايخفف عنهم عناء السير والانتقال بواسطة الحيوانات من بغداد للوصول الى الامكنة النائية او زيارة المراقد المقدسة في ضواحيها كبلدة الكاظمية التي يؤمها الكثير من زوار العتبات المقدسة من انحاء البلاد الاسلامية، وقرر تأسيس شركة مساهمة تتولى انشاء سكة ترامواي بينها وبين بغداد حيث أسهم في رأسمالها عدد من سكان بغداد والكاظمية، وارسل مدحت باشا الى مصانع بريطانيا يطلب منها المواد والادوات اللازمة.

وسار العمل في المشروع بنجاح لابأس به، وعندما اكتمل المشروع وبدأت العربات تجرب ذهل الناس لمنظرها، وقيل ان احدى عجائز الكرخ ابدت اذ ذاك دهشتها حيث قالت: بس على الموت مايكدرون! كما ذكر الدكتور علي الوردي في كتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث).

وكانت السكة في اول الامر تصل الى بداية الدور من الجعيفر، فارتأت الشركة تمديد السكة في داخل الكرخ الى مقربة من الجسر تسهيلا للركاب وكانت هذه السكة تنتهي بنهاية سوق الاسترابادي في الكاظمية حيث خصص لهذه العربات مرآب مازالت اثاره واضحة حتى هذا اليوم وقد زرت هذا المرآب قبل فترة وجيزة على امل تصويره لاغراض التوثيق فالقيته وقد تحول الى دكاكين وافران.

مصير الكاريات..

كان ربح الشركة في السنة الاولى يربو على العشرين بالمئة من رأس المال، وظلت الشركة مطردة النجاح الى ان رفع مدحت باشا استقالته من الولاية وغادر بغدد عام ١٨٧٢ فبدأت الشركة منذ ذلك الحين تسير في طريق التدهور تدريجيا كشأن اغلب المشاريع العثمانية.

وقد ذكر المرحوم عبدالكريم العلاف في (بغداد القديمة) ان ادارة هذا المشروع ظلت سائرة بانتظام حتى سنة ١٩٤١ حيث تقرر تصفية اعمال الشركة وانتهى المشروع بعد ان استعيض عنه بالسيارات الكبيرة والصغيرة التي تولت نقل الركاب من الزائرين، بيد ان المؤرخ السيد عبدالرزاق الحسني يذهب الى ان سكة مشروع الترامواي رفعت عام ١٩٧٤ وهو الرأي الاقرب الى الصواب لانني ادركت الكاريات في مدينة الكاظمية في منتصف الاربعينيات يوم كنت طفلا، هذا فضلا عن ان جريدة صوت الاهالي الصادرة بتاريخ ٢٧-٧-١٩٤٥ نشرت خبرا مفاده ان الازدحام قد اشتد في الاونة الاخيرة على ترامواي الكاظمية بسبب كثرة الوافدين الى العاصمة من الريف وغيره، اذ اصبحت جموع غفيرة من الرجال والنساء والاطفال والشيوخ تنتظر الساعات الطويلة وتتدافع وتتزاحم كي تستطيع ركوب الترام، ومما زاد في هذه المشكلة تعقيدا ان ادارة المشروع قد اقتصرت على تشغيل ساحبة واحدة في حين كان يجب عليها تشغيل كلتا الساحبتين وعلى الاخص في هذا الوقت الذي بلغ فيه الازدحام على الترامواي على اشده..

اجرة الركوب في (الكاريات)..

حيث ان (الكاريات) كانت تمتلكها شركة اهلية، فقد كانت الرقابة مشددة من قبل اصحابها على العاملين فيها، لذا كان الجابي لايتساهل في موضوع الاجرة وكانت عشرة فلوس، عن الراكب الكبير، واربعة فلوس (عانة) عن الصبي، وكان كثير من الركاب ينزل من الكاري مجبرا في الطريق حينما لايملك اجرة الركوب، ومن الصبية من كان يختفي في هذا الجانب او ذاك من العربة، الا انه سرعان ما يلذعه السوط (القمجي) الذي يتناوله (الجابي) من السائق لـ(تنظيف) جوانب الكاري من ركاب القجغ..

اشهر من ركب الكاري من الاجانب..

ولما كانت الكاريات هي وسيلة النقل الوحيدة بين بغداد والكاظمية حينذاك، فقد روت المصادر التاريخية ان كثيرا من الاجانب سواء كانوا سياحا ام من ذوي المقاصد الاستعمارية، وقد استخدموا الكاري للتنقل بين المدينتين وعلى سبيل المثال: فقد وطأت اقدام السائحة الفرنسية المدام ديولافوا مع زوجها هذه العربة ودونت مشاهداتها اثناء رحلتها بكتابها الموسوم رحلة مدام ديولافوا، حيث اعطت وصفا دقيقا لما كانت عليه الشركة من اهمال اثناء زيارتها لبغداد عام ١٨٨١..

ومن الذين استخدموا الكاري في التنقل ايضا العميل البريطاني المشهور الكولونيل لجمن الذي قتله المرحوم الشيخ ضاري المحمود ابان ثورة العشرين،، وذلك خلال قدومه الى العراق عام ١٩٠٧ لدراسة واقعه السياسي والاجتماعي يومذاك توطئة للاحتلال الانكليزي للعراق الذي وقع فعلا ابتداء من عام ١٩١٤ اذ انه، ومن خلال وجوده في بغداد، ركب الترامواي الرابض في الكرخ راحلا الى الكاظمية، حيث حل فيها ضيفا في بيت سائح هندي ثم رجع الى بغداد.

وهناك شخصية معروفة اخرى ركبت الكاري،، وهي العالمة الانكليزية (الليدي دراور) التي زارت العراق للفترة من عام ١٩١٩ الى ١٩٢٣، ودونت مشاهداتها عن الكاري، بكتابها (في بلاد الرافدين.. صور وخواطر) ومن جملة ما قالته عنه: ان عربات هذا الترام كانت واهية الوصلات وهم يحملونها اكثر مما تستطيع في ايام محرم و(الزيارة) ويمر طريقه بين البساتين القائمة على ضفة دجلة.. والطريق يبدأ بالمقاهي وينتهي بها.

الكاري.. في التراث الغنائي

لطالما شهدت الكاريات مهرجانات شعبية بغدادية تمثلت بـ(الكسلات)، اي ايام الافراح والمسرات التي تقع بعد العيدين والتي كانت معروفة لدى البغداديين ايام زمان، حيث كان يوم السبت مخصصا لزيارة مرقد الامامين الجوادين في الكاظمية، فكنت ترى الناس يتجهون، زرافات ووحدانا، ميممين شطر (صوب الكرخ) حيث تكون الكاري، وهي تجثم على السكة، على موعد معهم لاحتوائهم وم ثم الانطلاق بهم صعودا الى الكاظمية لقضاء يوم بهيج في ربوع هذه المدينة والعودة بهم في اخر النهار..

ولكسلة هذا اليوم اغنية شعبية يرددها الكبار والصغار. والنساء والرجال.. تقول الاغنية:

كلجن يمظلومات
للكاظم امشن
عد سيد السادات
فكن حزنجن

والى جانب هذه المهرجانات كانت الكاري شاهدا عيانا على الكثير من العلاقات الغرامية بين الشبان والشابات يومذاك بحكم التجمع والالتقاء وما يتمخض عنهما من غزل بريء وغير بريء بين الجنسين تجسده الاغنية التراثية (أه ياسمر اللون) التي يتغزل بها البغدادي بالفتاة التي خلبت لبه وهيجت ناره واثارت لواعج الهوى بين جوانحه وهي تصعد (الكاري) فيقول:

شفته راكب بالكاري
لابس عبا زنجاري
حاجيته وهيج ناري
حياتي الاسمراني

بيد ان الفرح الغامر الذي كان يلف البغداديين في التعبير عن هذا الانطلاق تؤطره البساطة العفوية النابعة من واقع حياتهم التي لم يأخذ التعقيد الحديث سبيلا الى زواياها.. فسقى الله تلكم الايام.. وسقى ذكريات (الكاريات)..

ورقتان بغداديتان

في مكتبتي الخاصة ضبائر من وريقات قديمة شاء هواي ان احزمها بوثائق مبرومة ضنا بمصيرها وبين هذه الوريقات لقط مما يستاهل الحياة والانتشار.. لان اغلب الناس يجهلون دفينها، ويؤنقني ان يحوم القارئ معي على ورقتين من تلكم الاضمامة، احداهما لجان دارك في بغداد، والاخرى تتوجع لاحدى الجرائد البغدادية العتيقة، ودونكم هاتين الجولتين..

عبد الحميد العلوجي

-١-

جان دارك في بغداد

في اليوم الخامس من ايلول سنة ١٨٩٨ اعلنت مدرسة القديس يوسف للاباء الكرمليين في بغداد عطلتها السنوية، وكان البغداديون في ذلك اليوم ينتظرون من طلاب هذه المدرسة قيامهم بتمثيل مسرحية جان دارك، لاول مرة، باللغة الفرنسية، وبرعاية الراهب هنري التماير رئيس اساقفة بغداد اللاتين.. وكانت مسرحية شعرية ذات خمسة فصول وقبل بداية العرض شاهد الحاضرون القنصل الفرنسي، والسيد عبد يشوع خياط بطريرك طائفة الكلدان، والقنصل الروسي وسكرتيره الخاص، ونخبة تجاوزت المئتين من اعيان بغداد وسراتها وافاضلها، وقد استأثر الطلاب الممثلون بالتصفيق بعد ان اجادوا تمثيل ادوارهم، وهم يرتدون الازياء التاريخية التي شاعت في فرنسا إبان النصف الاول من القرن الخامس عشر، وقد وفق المخرج في ابراز المشاهد ضمن ديكور يناسب اجواء المسرحية. واعترف بعض الاجانب الحاضرين ببراعة الممثلين العراقيين ولاسيما الطالب فضولي جاني توتونجي الذي ادى دور جان دارك بنجاح وتوفيق (ويبدو ان بغداد يومذاك لم تبح للطالبات الظهور على المسرح) وقد عرفنا من بين الممثلين الطاب البير اصغر الذي قام بدور شارل السادس ملك فرنسا.. وجبرائيل مارين بدور مندوب اورليان وسركيس بترين بدور ابزابو دي باكير وتوفيق توما بدور ريمون دارك وقسطنطين داود،، بدور (رئيس اساقفة رنس) وجميل ميخا بدور (بتفور) ورزوق داود بدور (لاهير)..

وتخللت فصول المسرحية انغام موسيقية اداها عازفو العود والقانون.. فألف تحية لهؤلاء الرواد!..

-٢-

هموم (الحقائق) في بغداد

في اوائل العشرينيات من هذا القرن تماكر بعض المشتركين في جريدة (الحقائق) البغدادية، وماطلوا صاحبها ومحررها الاستاذ ابراهيم ادهم الزهاوي في دفع بدائل اشتراكهم ولم يشأ هذا الرجل ان يشتبك معهم في نزاع.. او يتشاغب فيما لاطائل وراءه،، فلاذ بالاستاذ العلامة السيد محمود شكري الالوسي مستنجدا يطلب مساعفته في هذا البلاء الطارئ، ومعاونته في استبدال وكيل لعوب بوكيل ثقة.. يلتزم بتوزيع الجريدة على المشتركين وجمع بدائل اشتراكهم وقد باح لهم بهمومه ضمن رسالة اراها جديرة بالنشر.. هذا نصها:

حضرة العالم الكامل نخبة السلالة الطاهرة الوسي زاده.. فضيلة السيد محمود افندي شكري حفظه الله..

اهدي حضرتكم وافر الشوق، واخص مقامكم الكريم بمزيد الاحترام والتكريم، وارجو الله ان تكونوا في خير وعافية، ونعمة من الله وافية.. ثم ابدي لحضرتكم انني بعثت اليكم قبل الان كتابا رجوتكم فيه التكرم بالافادة عما تم في نسخ جريدة الحقائق الجاري تقديمها باسمكم الشريف مع التنبيه على ان من يلزم بتحصيل قيم الاشتراكات من حضرات الذوات الذين ارسلت سنداتهم طي ذلك الكتاب، وقد تبين لي من عدم تشرفي للان بجواب من حضرتكم ان ذلك ناشئ عن دوام اشتغالكم بوظائف التدريس وبث العلوم التي هي قوام هذا الدين، وان مكارم اخلاقكم وان كانت تدعوكم بقبول رجائي في امر التوكيل من جهة، الاّ انه توجب على سيادتكم تأخير امر التدريس من جهة اخرى، وهذا امر يمس حقوق العلم.. وحيث بلغني من بعض حضرات الاخوان ان حضرت عبدالرحمن افندي الكتبي له اليد الطولى والمعرفة التامة بما يستدعيه توكيل الجرائد، وانه اعز المنسوبين الى حضرتكم، فلذا تلاحظ لي ان استشير سيادتكم في احالة توكيل الجريدة على حضرته تحت ملاحظة حضرتكم، وبناء على هذا قد حررت الخطاب المعروض طي هذا الى حضرته فان تحسن لديكم هذا الامر، ورأيتم ان فيه زيادة ترقي الجريدة وتعميم نشرها.. ارجو التكرم بتسليم الخطاب الى الافندي المومأ اليه، والمذاكرة معه بشأن بذل الهمة في شؤونهما، فقد بلغني عن حضرته انه من ذوي الهمم العالية والغيرة الوطنية.

وعلى كل حال، فان وجود حضرتكم هو السبب الاقوى لحصول المقصود وزيادة، دمتم ودام فضلكم افندم..

صاحب امتياز ومحرر الحقائق

ابراهيم ادهم

مجلة بغداد اذار 1964

بغـــداد
Baghdad

تاريخ مدينة . . وصدى الطفولة والمكان والتاريخ

رشيد الخيون

أغرت بغداد، شأنها شأن المدن العريقة الأخرى، الكتاب والباحثين، ذلك بما تبوأته من مكانة تاريخية وحضارية خلال مجدها العباسي، وموضعها على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً عن المدائن، عاصمة الدولة الساسانية لأكثر من خمسة قرون، وهي واحدة من الأثر البابلي، ففيها آثار اضافة الى وجودها كمدينة قبل ان يخط ابو جعفر المنصور ويبني بكرخها مدينته المدورة العام ١٤٥هـ. فهي محصورة بين اثرين مهمين في تاريخ العراق، زقورة عقرقوف شمالا وايوان المدائن جنوباً، كذلك ارتادها العرب المسلمون عند فتحهم للكوفة والمدائن والبصرة، ووجدوا فيها سوقاً عرفوه أهلها بسوق الثلاثاء، ووجدوها مزدحمة بالأديرة والمعابد، غير ان مجدها العباسي، بقصوره وسفنه ودوره العلمية ومجالسه الفكرية وأسواقه هيمن على تاريخها، فتظهر في التاريخ حاضرة عباسية منذ التأسيس، وما ذكر عن اسمها ووصفها، قبل الزمن العباسي، كانت اشارات متناثرة في معاجم البلدان والمدن فحسب. في «بغداد.. ملامح مدينة في ذاكرة الستينيات» (بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١) يضيف جمال حيدر كتابا جديدا لبغداد، سرد فيه تاريخها المعاصر، مع عودة أصولها القديمة كلما اقتضت الحاجة، متخذاً من الأمكنة البغدادية دليلاً في سرده الممتع، غير انه لم يخرج عن اطار ذاكرته الشخصية، وهذا هو الجديد في الكتاب، ولولا مراعاة ذلك لأصبح كتابه رقماً آخر في مكتبة بغداد العامرة.

ولعل أول من وضع اسم «بغداد» عنواناً لكتابه هو الكاتب العباسي ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ) «تاريخ بغداد» ولم يصلنا منه غير عصر المأمون، وفيه ما فيه من اخبار القصور والمجالس وما بين الطبقة المثقفة والعامة، ورسائل المأمون بخصوص امتحان الفقهاء والقضاة في ما عُرف بمحنة خلق القرآن.

أما أهم وأخص كتاب تراثي حول بغداد، ما زال يحتفظ بحيويته الأدبية الوصفية، هو كتاب «الرسالة البغدادية» لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، ولأن في الكتاب ما فيه من قرض وثلب لوجهاء العصر آثر التوحيدي توقيعه باسم ابي المطهر محمد بن احمد الازدي، وان تلف صفحته الاولى جعل آدم متز يصدره باسم «حكاية ابي القاسم البغدادي»، الذي يصبح بطل الرواية. والكتاب بمجمله عبارة عن مشاهدات التوحيدي ببغداد ليوم واحد، حصر فيها مجالسها وسفنها وجواريها ومغنياتها وما يحدث في قصور وزرائها وقضاتها، ويظهر قسم من الرسالة مقارنة بين اصفهان، التي كرهها التوحيدي وبين بغداد التي أحبها، ولا يُنسى كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ)، الذي أرخ لبغداد عبر اعلامها من مختلف الطبقات، وهداية به كتب ابن عساكر «تاريخ دمشق» فيما بعد، ثم توالدت تواريخ المدن عبر شخوصها. ويذكر لابن الجوزي (٥٩٧هـ) الفقيه الحنبلي المعروف، فضله في الكتابة عن بغداد، فقد صنف فيها «مناقب بغداد»، جمع فيه أقوال من ذمها ومن مدحها، وحدود العراق وهي صرته وصرة الدنيا آنذاك.

وفي العصر الحديث زودت مكتبة بغداد بكتب الرحالين الأجانب، ومذكرات ابنائها، منها «بغداد كما عرفتها» لأمين المميز، و«بغداد» لمصطفى جواد ومحمد مكية و«خارطة بغداد» لمصطفى جواد وأحمد سوسة، وكان آخرها «بغداد» لناجي جواد الساعاتي، منطلقاً من ذكرياته الشخصية والعائلية بحدود المحلة والمجالس، غير ان كتاب «بغداد في العشرينيات» لعباس البغدادي جاء مفصلاً لمحلاتها ومجالسها وطرقها ودور الترفيه والمكتبات الى جسورها ومجانينها وشقاواتها، كان كتاباً معلوماتياً كتب بلغة بسيطة بعيداً عن الاسلوب الأدبي والروائي، لذا ظهرت مقدمة الروائي عبد الرحمن منيف زائدة في قوامه، فالذي يقرأ المقدمة لا يجد لغة مشتركة بينها وبين بغداد والكتاب، ومنيف لم يكن بغدادياً حتى يتعاطف مع أمكنتها، بل كان زائراً في ضيافة سياسية من قبل الحزب الحاكم.

سجل جمال حيدر ذاكرة بغداد عبر طفولته وصباه وشبابه متخذاً من الأمكنة، كما اسلفنا، رواية ودليلاً، كتبها بأسلوب أدبي مشوق، يتابعه القارئ خطوة خطوة، ينظر، وعينه في الكتاب، يميناً وشمالا لمحال شارع الرشيد ومقاهيه ويترقب تطور الأمكنة تاريخا وحاضراً، لم يقف عند مسرات الطفولة والصبا بل اعطاء لمصائب بغداد حيزاً لا يفقده الرومانسية ومتعة العيش ببغداد. قال حيدر في احزان مدينته: «تاريخ مكتظ بالحرائق والفيضانات والامراض والحروب التي أراقت سيولاً قانية» ويلخص لك كتابه بالعبارة: «سأقودك الى المدينة العجيبة بغداد، الممتدة في أصرة زمنية بين عقدين»، انها العشرون عاما التي عاشها جمال حيدر بكنف مدينته، فقد هجرها وهو في طلعة الشباب، ويكتب عنها وهو في مقدمات الكهولة، متذكراً تفاصيل دقيقة، وظل متواصلاً مع الحارة والمدرسة والاصدقاء والمقهى، يبدأ مع الشخوص من بدايتها، عباسية كانت أو عثمانية، ليصل معه الى النهاية، صديق يموت ومقهى يقتلع وشارع يغلق وغير ذلك من النهايات.

أوجد حيدر عن طريق السرد الروائي صلة مشوقة بين الماضي والحاضر، فلا يمر بمرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت ٥٦١ هـ) دون عودة سريعة الى العصر العباسي، عودة لا تثقل الكتاب بالتاريخ والرواية، ليطنب عند ساعة برج المرقد، فينتزع من صفحات التاريخ انها صنعت في مدينة بونة الهندية القريبة من بومباي، وشيد لها عبد الرحمن النقيب، نقيب اشراف بغداد وأول رئيس وزراء عراقي، برجاً عالياً. وحينما يتحدث عن شارع الرشيد، جادة خليل باشا سابقاً، لم ينس احزان الوالي المذكور مؤسس الشارع، وهو مرمياً بحي من احياء اسطنبول بعد تفسخ الدولة العثمانية، حزنه بسبب اسقاط اسمه من الشارع، اخبر عن ذلك تاجر بغدادي زار الوالي السابق في أواخر حياته.

لم يترك المؤلف زاوية من زوايا ذاكرته إلا ويصبها في كتابه معلومات طرية كونت تشكيلاً جميلاً بين الأدب والتاريخ بمسراته وأحزانه، وان غابت تفاصيل أخرى من كتاب «بغداد..» فعذر مؤلفه ان صندوق الذاكرة لم يحوها، والطفولة لم تفقه عليها، فهو يرى بغداد اليوم «مدينتين، مدينة عشتها تنبض في الذاكرة» وما كتبه كان نبضاً من الذاكرة.

ولعل أول من وضع اسم "بغداد" عنواناً لكتابه هو الكاتب العباسي ابن طيفور (ت 280هـ) "تاريخ بغداد" ولم يصلنا منه غير عصر المأمون، وفيه ما فيه من اخبار القصور والمجالس وما بين الطبقة المثقفة والعامة .

مذكرات وذكرياتِ عن سوق الشورجة قديماً وحديثاً

حسين علي محفوظ

حسين علي محفوظ في شبابه

بغداد مدينة عظيمة قديمة معجزة مدهشة، في كل شبر منها بركة ظاهرة وكنز مخفي، وهي اوسع من ان تفي الكتب والدراسات والمقالات بذكر صفاتها ومحاسنها ومن معالمها القديمة واثارها الباقية.. (سوق الشورجة) الذي يمثل طرفا من (درب فراشة) في محلة الفراشة التي حافظت على اسمها العباسي الى عهد قريب فقد ذكرها (فيلكس جونسون) في كتابه سنة ١٨٤٦م. ومحلة الفراشة هذه من الامكنة القديمة التي بقيت من العصر العباسي وتعرف بعض اجزائها اليوم بمحلة الدشتي والامام طه وما يليها، وهي منسوبة الى فراشة مولى الخليفة المهدي ابن المنصور، وكان من الولاة في بلاد المشرق وكانت محلة الفراشة تسمى (فراشا) ايضا وقد سماها الناس محلة الفراشين..

وكان الناس في زمان ياقوت الحموي في اوائل القرن السابع الهجري يسمونها درب فراشة، وهي مذكورة في بعض حوادث بغداد ومنها حريق سنة ٤٦٧هـ وحريق سنة ٥٥١هـ وحريق سنة ٥٦٠هـ وفي اخبار سنة ٧٠٠هـ.

ويكاد المرحوم الاستاذ مصطفى جواد يميل لولا عوز الادلة الى ان المنارة المقطوعة هي من بقايا مدرسة خواجا امام الدين الافتخاري حاكم بغداد التي بناها في درب الفراشين في ذلك الحين.

وتشير الوثائق الموجودة انه كان هناك ما يسمى السوق الجديد.

وتدل وقفية مرجان التي كانت نسختها من نوادر خزانتنا ونفائس مكتبتنا ان الشورجة كانت في زمان مرجان في القرن الثامن عبارة عن اسواق وخانات، وقد بنى مرجان فيها لنفسه بعض الخانات ووقف عددا من الدكاكين في السوق الجديد، ولاخي الاستاذ المحقق ناجي علي محفوظ دراسات نفيسة حول خطط بغداد وتراثها عموما، وله ابحاث ممتعة حول المدرسة المرجانية وخان مرجان ومنطقة الرواق خاصة، وهو مهتم بدراسة نص الوقفية منذ مدة طويلة

وانا اذهب الى ان الشورجة تعود الى عهد منظرة الريحانتين والسوق المشهورة المعروف بالريحانيين.

كان السوق الجديد الذي كان بماذيان الريحانيين- عامرا بالدكاكين والمخازن والخانات، وقد حافظت الشورجة الى الثلاثينيات على تشريحها القديم فالخطة كما كان يسميها الناس وهي امام باب جامع مرجان هي التي كانت تسمى باب بدر الجديد.

واحب ان انبه هنا ان جامع مرجان ليس جامعا بل هو المدرسة المرجانية التي اسسها امين الدين مرجان سنة ٧٥٨هـ وانما سماه الناس جامعا لانهم تعودوا الصلاة في مصلى المدرسة المذكورة في الازمنة المتأخرة.

ومن معالم الشورجة المعروفة (السوق الصغير) و(قهوة الخطة) و(خان الدجاج) وحمام الشورجة.. وسوق البقالخانة،، وسوق المناصل وسوق التمارة وسوق الفاكهة وعلاوي الشورجة وسبيل جامع سوق الغزل وتاريخ تأسيسه سنة ١٢٦٩هـ وسلطان حموده وسوق الغزل وتحت التكية..

ومن المعالم القريبة خان مخزوم وبنجه علي وجامع بنات الحسن والحسين بن روح وهو من اعلام بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري وقد توفي سنة ٣٢٦هـ وغيرها..

وقد كانت الشورجة تمتد بين الخطة وهي الساحة أمام باب جامع مرجان والصدرية حاليا..

ومن اهم مرافق الشورجة الفلكلورية سوق العطارين، الذي يسميه عامة بغداد سوق العطاطير،، ومن البيوتات العربية العراقية القديمة التي كانت تسكن السوق ولاتزال تعمل فيه السادة الحسنية بيت العطار وفروعهم ولاسيما السادة بيت السيد عيسى المتوفى سنة ١٢٣٤هـ ١٨١٩م وقد وردوا بغداد في اوائل القرن الثامن للهجرة وسكنوا حوالي السوق في القرن التاسع، وتشير الوثائق الموجودة في منازلهم في سوق العطارين في القرن العاشر الهجري وقد توفي جدهم السيد محمد العطار سنة ١١٧١هـ ١٧٥٧م ولاتزال الدربونة المنسوبة اليهم قائمة، وهكذا زقاق السيد عيسى الذي ظل الناس يتبركون بالطاق الذي كان يمثل في مقدمته طرف الشورجة ويضمخونه بالحناء حتى عهد قريب، وكانوا يقسمون به كما اشرت الى ذلك غير مرة وعند تقديم السيد عبدالرزاق الحسيني مؤرخ العراق خصوصا.

كان العطارون – كما حدثني العم الاستاذ محمد محفوظ اطال الله بقاءه، يحفظون العقاقير والمواد الطبية والادوية والحاجات العطارية في اكياس من القماش والخام مشدودة بخيوط تعلق على مسامير مثبتة في جدران الدكان فاذا اراد العطار شيئا جر الكيس.

ثم دخلت الجرارات من الخشب والقواطي من التنك والشيش من الزجاج في العشرينيات.

كان العطارون يستعملون من الاوزان الدرهم والمثقال ونصف مثقال وست دراهم وربع ونص ربع وثلاثة ارباع واوقية ونص اوقية وحقة ونص حقة وجارك ورطل و (من)..

اما الدرهم فهو جزء من (٤٠٠) جزء من الحقة الاستانبولية وهو ثلثا المثقال او ١٦ قيراطا والقيراط هو اربع حبات او اربع قمحات ويساوي الدرهم في النظام العشري (٣،٢٠) غرام اي ثلاثة غرامات وخمس الغرام.

واما المثقال فهو ٢٤ قيراطا والقيراط هو الحبة او الحمصة ويساوي درهما ونصف الدرهم او (٤،٨٠) غرام في النظام العشري اي اربعة غرامات واربع اخماس الغرام.

ومماكانوا يبيعونه الحشائش والعقاقير والاعشاب والبزور مثل بزر البيدمشك وبزر الخشخاش وبزر الريحان وبزر السفرجل وبزر الكتان وماء الورد والعروقات وهي ماء الكيورة وماء البيدمشك وماء الطلع وماء الهندباء وماء لسان الثور وماء الصفصاف وماء الشاترك ودهن الخروع ودهن اللوز وانواع البخور والشمع والصابون والعطر والطيب والروائح والحوايج والبهارات.

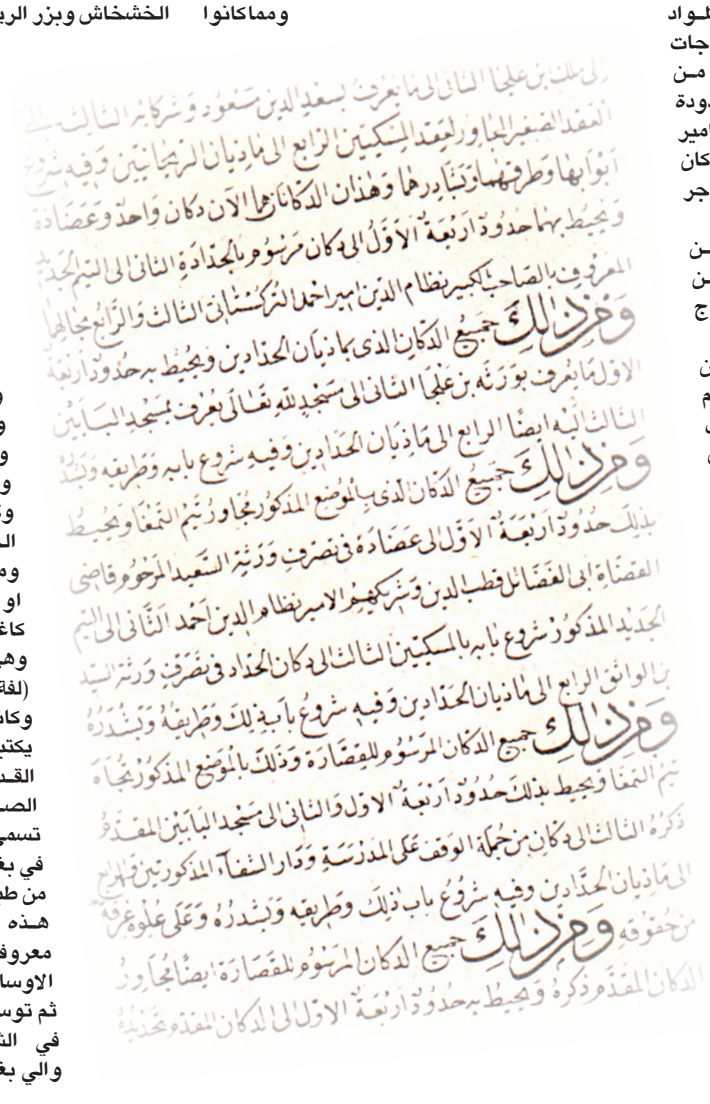

وكان العطارون يلفون الحاجات باتقان ومهارة في كاغد مربع او مستطيل يسمى كاغد لف يطوى ويظفر وهي لفة خاصة تسمى (لفة عطارية)..

وكانت الوصفة التي يكتبها الطبيب الحكيم القديم للعطار و الصيدلاني التابع له تسمى نسخة وكنا نسميها في بغداد راجيته اذا كانت من طبيب دكتور، ولاتزال هذه الكلمة مستعملة معروفة متداولة في بعض الاوساط الشعبية..

ثم توسيع سوق العطارين في الشورجة في ايام والي بغداد ناظم باشا سنة

١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.
وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ١٣٣٠ه ١٩١١م اواخر عهد الوالي جمال بك احترق خان الحاج عبدالعزيز واكلت النار جانبي سوق العطارين وامتدت الى جامع مرجان ودامت نحو اسبوع وبقيت اثارها مايزيد على شهرين وقد خمنت خسارة الحاج عبدالعزيز بقرابة (٢٢٠٠٠) ليرة وهو مبلغ كبير جدا فقد كان الناس في بدايات القرن العشرين اذا عبروا عن البزاز بالغنى والسعة قالوا ما في دكانه يقدر بمائة ليرة..
اما تكاليف دكان العطار البسيط فقد كانت ٩٧ روبية وعشر عانات، وفيها قيمة الميزان والصناديق والمداده والجامعينات والقواطي،، وغيرها وذلك في سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م..
هذا وقد حفظ المرحوم الوالد الشيخ علي محفوظ اسماء ١٤٤ مادة من العقاقير والادوية والاعشاب والمركبات وهي المستحضرات التي يجمعها العطار ويركبها والمفردات وهي المواد الاولية من العقاقير وذكر اسعارها في ٣ شوال سنة ١٣٤٦ اذار ١٩٢٨م اي قبل مايزيد على نصف قرن وذلك في الدفتر الكبير، ودون ايضا عشرات المواد التي كانت تباع عند العطارين في ذلك الوقت، ومنها انواع الصابون الخمسة الرئيسية التي كان البغاددة يستعملونها في العشرينيات كما حفظ تكاليف الحياة واسعار الاشياء الحاجات والمواد الاستهلاكية اليومية لمدة تبلغ (٣٨٨٦) يوما اعتبارا من يوم الجمعة ٢٨ ربيع الاول، سنة ١٣٤٥هـ تشرين الثاني ١٩٢٦م.
الى ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٥هـ تموز ١٩٣٦م، وهي فترة احدى عشرة سنة وذلك بالسكة الهندية الروبيات والقروش،، حتى جمادي الاخرة سنة ١٣٥٢هـ وبالعملة العراقية ابتداء من ١٠ جمادي الاخرة ١٣٥٢ هـ تشرين الثاني ١٩٣٣م.
ومن اثاره الباقية من تراثه بعض الرسائل الادبية والمراسلات ومجموعة القصائد والموشحات التي انشدها شعراء الكاظمية والنجف وبغدد في الموسم الادبي الذي عقد في دارنا بمناسبة زواجه في شهر رجب سنة ١٣٤٠هـ ١٩٢٢م وسجل تكاليف البناء سنة ١٣٣٩هـ والدفتر الكبير، وبعض الوثائق والاوراق ومن اهمها قائمة مفردات العطار سنة ١٩٢٨م وقد حققتها وعلقت عليها وقدمت للنشر في العدد القادم من مجلة (التراث الشعبي) النفيسة الرائدة.
انا لا انسى الشورجة سنة ١٩٣٧ فقد امضيت فيها يوما مازلت اتذكر بهجته ومتعته وسروره، وهو من الايام المبهجة جدا في طفولتي ورحم الله محمد صالح البير زوج عمتي الذي اسعدني بتلك الزيارة.
ولا بد من الاشارة الى التحقيق الصحفي الطريف المصور الذي نشرته جريدة الجمهورية في اواسط ١٩٨٣ فقد عرف بحاضر الشورجة ونقل عن الفاضل الاديب السيد غازي العبودي كاتب التحقيق بعض المعلومات كما اثبت اراء اخرين من الفضلاء واني ليبهجني ويفرحني كل سطر وكتاب عن بغداد والعراق العظيم.
وهناك صورة ورقة من انفس الوثائق البغدادية القديمة وقفية مرجان الذي بنى المدرسة المرجانية التي يسميها الناس غلطا جامع مرجان سنة ٧٥٨هـ خان مرجان الذي تم بناؤه سنة ٧٦٠هـ ويعرف بخان الاورتمة اي الخان المغطى، وكان الناس في العراق يسمون خان التجار التيم، وتاريخ وقفية مرجان ٤ ذي الحجة سنة ٧٥٨هـ ١٨ تشرين الثاني سنة ١٣٥٧م..

تكاليف دكان العطار البسيط فقد كانت 97 روبية وعشر عانات، وفيها قيمة الميزان والصناديق والمداده والجامعينات والقواطي،، وغيرها وذلك في سنة 1346هـ 1928م..

وخان مرجان والمدرسة المرجانية من اهم المباني التاريخية الباقية الى الان في بغداد وقد نقشت وقفية المدرسة في المصلى، وهنالك كتابة منقوشة فوق باب المدرسة وفوق خان مرجان بخط احمد النقاش المعروف من خطاطي بغداد والمشاهير في القرن الثامن الهجري.
وهو صاحب كتاب نزهة المشتاق وازهار واثمار ونشر الدفين وغيرها، وله دراسات ومقالات وابحاث ممتعة، وكتاب تجارة العراق هذا عبارة عن ست محاضرات القاها في المعهد العلمي في بغداد سنة ١٩٢٢م ونشرتها مطبعة العراق في تلك السنة.
بشار الان وقد غرقت مراكبه في البحر في الربع الاخير من القرن الثامن عشر الميلادي وضاعت امواله في الخليج..
وغادر بغداد واستوطن (الغواضر) قرب (بلد)، وملكها ومكث فيها واعقب وانجب وكان يدعى هناك السيد جواد البغدادي وهو جد السادة بيت ابي الورد الوردية المرحوم السيد ابراهيم فصيح بن السيد.. صبغة الحيدري البغدادي في سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م واستدراك بعض مافاته من بعد، اما البيوت الحديثة والمعاصرة فهي كثيرة جدا تحتاج الى تتبع واحاطة واستيعاب.
ومن هذه البيوتات التجارية وتلك:
بيت ابو التمن- بيت الازري – اسكندر – اصفر- الاعرجي- الياس عيسى – الامام- الاورفه لي- البرزنلي- البسام- الباجه جي – التحمسجي- التوكمه جي – ثنيان – جرجيس – جلال – الجرجفجي – الحاج خالد – الحاج سعيد البقال – حسين النجم – الحسيني – الحلاوي – حناباش- الحنيني- الخاصكي- الخضيري- الدامرجي – الدركزنلي – دله – الراوي- الرحال -رفه – الريزه لي – الزيبق – الزبير – زيني – سلطان حموده – سميكة- سند- السوز- السيد حسن البغدادي- السيد عيسى- السيد

وقد انشأ مرجان كذلك مستشفى سماه دار الشفاء نص عليه في الوقفية المنقورة في باب الخان، وكانت دار الشفاء في باب الغربة وهو باب شارع المستنصر كما قال المرحوم الدكتور مصطفى جواد وقرر انها في موضع قهوة الشط على نهر دجلة.
وتذكرنا الشورجة ايضا كتاب (تجارة العراق قديما وحديثا) وهو بحث تاريخ اقتصادي طريف كنت اطلعت عليه في ١٩٤٩/١/١١م وهو من طرائف مؤلفات الباحث العراقي المرحوم الاستاذ يوسف رزق الله غنيمة المتوفى سنة سنة ١٩٥٠م..
كما تذكرنا الشورجة علاقات العراق التجارية مع الخليج العربي ولاسيما البحرين والهند، وقد كان جدنا من طرف الوالدة المرحوم السيد جواد البغدادي الملقب (ابو الدولة) شيخ تجار اللؤلؤ في القرن الثاني عشر الهجري..
وكان يسكن في بيتهم القديم الذي كان اباؤه واجداده يسكنونه منذ القرن الثالث للهجرة وكان بمشرعة القصب في محلة قصر بني المأمون ما بين النواب الحالي المبني سنة ١٣٤٨هـ ورأس الجسر العتيق جسر الشهداء في الكرخ.. في محلة الشيخ في الكاظمية وبلد وبغداد اسرة الاستاذ الدكتور علي الوردي من علماء الاجتماع المعروفين والفنان التشكيلي الراحل المرحوم النحات خليل الورد والعلامة القصاص المنسي السيد حسن ابو الورد.. وغيرهم..
انا ارجو ان تتاح لي عودة الى بيوتات بغداد التجارية والتراث التجاري في العراق، واهم التجار والعطارين في التاريخ ولعل من المفيد الان الاشارة الى بعض البيوتات التجارية المشهورة في بغداد في القرن الماضي التي ذكرها يحيى- الشابندر- الشالجي (شالجي موسى)- الشبيبي- الشوكة- الصفار- الضاحي- الطالقاني- طويق – العاني- عرموش- العزيز- العسافي – عطا- عطار- العطار- الغنام- فرهاد- القايمقجي- القشطيني- القصابجي – القمجي- كبة- كزبرخان- المخزومي- المدلل- المراياتي- المزرقجي- المشاط- المعلمجي- مكية – مينة- نصر الله- هاشم- هلال- الوتار – يوسف – جبرة- وغيرهم..
ومن نوادر العطارين في ختام المقالة مايروى عن الحاج مصطفى الشكرجي العطار القديم القدير فقد اسن وكف بصره فكان ينقر القوطية وتطن ويعرف مافيها من الصوت!! واخر كان عطارا في الفضوة بمحلة الدباغخانة في الكاظمية كان مكفوفا كذلك ولكنه كان يميز الوان الخيوط ومختلف الاشياء باللمس!.

انا لا انسى الشورجة سنة 1937 فقد امضيت فيها يوما مازلت اتذكر بهجته ومتعته وسروره، وهو من الايام المبهجة جدا في طفولتي ورحم الله محمد صالح البير زوج عمتي الذي اسعدني بتلك الزيارة .

مجلة افاق عربية تموز 1977

شارع الرشيد . .في الذاكرة

ذاكرة بغداد منذ مئة عام.. لم تعرف بغداد شارعاً حقيقياً في العهد العثماني. كان شارعها الأول والوحيد هو شارع النهر الذي شيّده الوالي ناظم باشا في عام ١٩١٠. وإثر انتصار الوالي خليل باشا في مدينة الكوت عزم على أن يكون أول من يشيّد الشارع الأول في جانب الرصافة من بغداد لتسهيل وصول القناصل الأجانب. الذين كانوا يسكنون على ضفاف نهر دجلة في الباب الشرقي وكبار الشخصيات البغداديّة التي تقطن في محلّتي الحيدر خانة وباب الشيخ، الى السراي، مقرّ الحكومة. وخلف قرار الوالي العامل الشخصي الذي غدا شائعاً لدى الولاة العثمانيين، رغبة في مجاراة موضة التحديث وإطلاق أسمائهم على أي إنجاز مهما كان هامشيا.

جمال حيدر

بدأ تشييد الشارع في أيار (مايو) من عام ١٩١٦، حيث استدعى رؤوف بك الجادرجي رئيس البلدية (شقيق الزعيم الوطني كامل الجادرجي)، أصحاب الدور التي سيخترقها الشارع للاتّفاق معهم على مبالغ التعويض التي ستدفع لهم. عملية إنشاء الشارع كانت تجري بطريقة عجيبة، إذ جيء بحبلين طويلين مدّا فوق سطوح الدور لتحديد مساحة الشارع وطوله. ويقال إن مرور أحد الحبلين فوق إحدى الدور كان يعني نزول الكارثة على أصحاب تلك الدار. وكثيراً ما كان الحبل يتحوّل من دار الى أخرى حسب قيمة الرشوة التي تدفع أو النفوذ الذي يستخدم.

تعرّضت أعمال الانشاء الى معضلات عدّة أهمّها: رفات إمام طه (موقع تمثال الشاعر معروف الرصافي حاليا) وجدار جامع الحيدر خانة. وتم نقل الرفات في جنح الليل الى سلمان باك، في حين استطاع القائمون على المشروع هدم جدار الجامع ليلاً، ليتعامل الناس صباح اليوم التالي مع الأمر الواقع، كذلك اصطدمت عملية إنشاء الشارع بأملاك المتنفّذين والأجانب المشمولين بالحماية وفقاً للامتيازات الأجنبية، لهذا كثرت التعرّجات على امتداد الشارع.

تمّ إنجاز الشارع في مدّة وجيزة نسبيّاً، وجرى افتتاحه في ذكرى إعلان الدستور في ٢٣ تموز (يوليو) من عام ١٩١٦، وأطلقت عليه تسمية (خليل باشا جادة سي) ودوّن ذلك في قطعة زخرفية وضعت على جدار جامع سيد سلطان علي. وظلّت اللوحة معلّقة حتى خمسينيات القرن الماضي. وظلّ الشارع حتى دخول الإنكليز بغداد في ١١ آذار (مارس) ١٩١٧ مليئاً بالحفر يعلوه التراب، وبدأ الإنكليز أول عهدهم بتعبيد الشارع وأطلقوا عليه تسمية (الشارع الجديد)، بينما سمّاه البغداديّون (الجادة العمومية) ثم سمّي (الشارع العام) ليطلق عليه أخيراً اسم (شارع الرشيد) تيمّناً باسم الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي عاشت بغداد في عهده عصراً ذهبياً من جانب، وكالحاً معتماً من جانب آخر. وقد روى أحد البغداديين أنه زار خليل باشا في اسطنبول في أواخر عمره، فوجده ممتعضاً لحذف اسمه من الشارع معاتباً البغداديين على ذلك.

اعتباراً من ساحة التحرير يفتح الشارع بوابات الماضي مع محال الجقمقجي لتسجيل الأسطوانات، لكن ليست ثمّة موسيقى ولا مغنّون، والمحلّ صار مكتبة أرشيفية لأندر الأغاني العراقية والعربية. متاجر أخرى للحلويّات والكنافة، ثم مدخل لسينما (الخيام) ومقهى سمر. يقابل المدخل بناية قديمة لدائرة الأحوال المدنيّة. ويمتد الشارع مع تعدّد المتاجر وعيادات الأطبّاء والصيدليات واستوديوات التصوير ومخازن أنيقة للملابس الجاهزة. ثم مدخل سينما (روكسي) ببواباتها الحديدية المشبّكة، غير أن السينما انزوت حاضراً وتحوّل المدخل الى معرض للمتاجر التي انتشرت على جانبيه. ثمّة زقاق صغير يقودك في اتجاه مبنى صحيفة (التآخي) التي تحوّل اسمها الى (العراق) في السبعينيات بقرار رسمي لا يخلو من شوفينية واضحة المعالم.

وتتوالى المتاجر على جانبي الشارع: البلداوي للأربطة، زاوية صغيرة لرواف مسنّ، عدّته بسيطة ليس أكثر من إبرة وكشتبان ومجموعة خيوط متمايزة

بدأ تشييد الشارع في أيار (مايو) من عام 1916، حيث استدعى رؤوف بك الجادرجي رئيس البلدية (شقيق الزعيم الوطني كامل الجادرجي)، أصحاب الدور التي سيخترقها الشارع للاتفاق معهم على مبالغ التعويض التي ستدفع لهم . عملية إنشاء الشارع كانت تجري بطريقة عجيبة .

الألوان وزبائن (على قد الحال). رواف مع أبنائه يرتق الثقوب بمهارة. يأتي فندق السندباد، بناء قديم ومستطيل يطل على ساحة السنك، ثياب غسلت توا معلقة على شرفات الغرف المطلة على الشارع.

يخترق الشارع محلّة (المربعة) بجامعها سيد سلطان علي الذي تمّ تشييده في عام ١٨٩٢، وقد تحوّلت المحلّة في سبعينيات القرن الماضي الى البؤرة الأكبر لتجمّع المصريين في بغداد، فيما اختصّت متاجر المحلّة في الأعوام الأخيرة ببيع العدد اليدويّة ومضخّات الماء والأدوات الزراعية. رائحة البن المستورد تجبرك على الاستدارة نحو (البرازيلية)، المقهى الأكثر استقراطية في فوضى المكان. في الاتجاه ذاته يلفحك الهواء المبرد لأسواق (أورزدي باك) العصرية. يقال إنها شركة فرنسية اختارت بغداد مكاناً لأحد فروعها خارج الأراضي الفرنسية. الطابق الأرضي للأسواق تحوّل في السنوات العشر الأخيرة الى مرآب للسيارات، فيما تحوّلت الطوابق الأخرى الى مخازن للمتاجر المجاورة.

سينما (الوطني) المحشورة بين المتاجر والمطاعم الرخيصة تقابل الأسواق، فيلمان بتذكرة واحدة، مغامرات طرزان في أدغال أفريقيا، رعاة بقر في صراع دائم مع الهنود الحمر، في حين تعرض سينما (الرشيد) المحاذية لها الأفلام العربية القديمة، توليفة عجيبة من الحب والأغاني والوفاق الطبقي والنهايات السعيدة.

ساحة حافظ القاضي، التاجر البغدادي، تقطع استمرارية شارع الرشيد، في محاولة لاسترداد الأنفاس. استوديو (ارشاك) الى الجانب الأيسر من الشارع الذي يمتد في اتجاه مرقد (أبو شيبة) المثقلة بوابته الصغيرة بأقفال أصحاب النذور. وثمّة مداخل متعدّدة توشج شارع الرشيد بشارع النهر، ومن أهمّها سوق المستنصر بمتاجره المتراصفة والمحميّة بسقف من الأجر من مساقط الشمس.

يواصل الشارع امتداده ليلامس شارع البنوك، حيث تنتصب العمارة الأعلى في سماء بغداد آنذاك التي شيّدها عبد الهادي الدامرجي في عام ١٩٤٨، وهي من سبعة طوابق نفّذها المهندس نيازي فتو. بنايات شاهقة متعدّدة الطوابق تتوالى فيما بعد. بنوك ومصارف محشورة وموظّفون بهيئات وقورة وجداول حسابات لا نهاية لها.

مدخل شارع المتنبي يبدأ من شارع الرشيد. رقعة صغيرة وغابة من المكتبات المتراصّة الى جانبي الشارع وتفرّعاته: مكتبة النهضة، مكتبة التربية، مكتبة الشطري، المكتبة الأهليّة، والعشرات غيرها. سمّي الشارع سابقاً بـ(الأكمكخانة) وتعني المخبز في اللغة التركية، وذلك لوجود الفرن الكبير الخاص بالجيش العثماني في بغداد. وكان موقع الفرن مقابل مقهى (الشابندر) الذي أغلق أبوابه أخيراً إثر التفجير الارهابي الذي استهدف الشارع وزبائنه، في محاولة لفرض العتمة والجهل على شعب اتّصف بشغف القراءة والمعرفة. وثمّة بعد خاص بشارع المتنبي يرجع تاريخه الى عشرات الأعوام، تبلور في إقامة المزاد العلني لبيع الكتب النادرة في أيام الجمع. وفي أعوام ماضية زحف المثقّفون الى الشارع ليعرضوا مكتباتهم الخاصة على أرصفته للحصول على لقمة عيش، أصبحت هي الأخرى عسيرة في زمن النظام البائد.

وكانت مكتبة (المثنى) لقاسم محمد الرجب تعتبر من كبرى مكتبات شارع المتنبي، ويعود تاريخ تأسيسها الى بدايات الحرب العالمية الأولى، وتضم ثلاث عشرة غرفة تحوي أنفس أسفار الحكمة. وقد التهمت النيران في نهاية التسعينيات من القرن الفائت محتوياتها الثمينة، إثر حريق تحيط به هالة من الغموض والشكوك والالتباسات.

يستمر الشارع ليصل سوق الصفافير، أحد أقدم الأسواق البغداديّة المعروف بصناعة وبيع التحف النحاسية. حدّادون أشدّاء يطرقون النحاس بتواصل. طرقات تحفر في جسد المعدن الأصفر تراث العراق وتفاصيله العجيبة. أصوات المطارق تتواصل وتلاحق المارة. وتذهب الأمثال الشعبية الشائعة الى غلبة أصوات الفوضى على كل الأصوات. ضجيج فريد

كانت مكتبة (المثنى) لقاسم محمد الرجب تعتبر من كبرى مكتبات شارع المتنبي، ويعود تاريخ تأسيسها الى بدايات الحرب العالمية الأولى، وتضم ثلاث عشرة غرفة تحوي أنفس أسفار الحكمة. وقد التهمت النيران في نهاية التسعينيات من القرن الفائت محتوياتها الثمينة، إثر حريق تحيط به هالة من الغموض والشكوك والالتباسات.

غائر في عمق أربعة قرون، حيث تتوارث حرفة الصفار من جيل الى آخر بثبات وسرّية. ومنذ تلك الأعوام ما زالت الأكفّ السود والوجوه القاسية تعزف سمفونية الطرق بإيقاعات متنافرة حيناً ومتناسقة حيناً آخر.

الشاعر العراقي معروف الرصافي ينتصب شامخاً بهندامه الإفرنجي، محدّقاً صوب الكرخ، كأنه يدعو العراقيين من كلتا الضفّتين الى الوحدة والتعايش. تمثال الرصافي يحدّ من امتداد شارع الرشيد. في ذلك الميدان الصغير يقف الشارع على عجل، يريح أنفاسه قليلاً ليواصل مسيرته نحو ساحة الميدان. ومن الأسواق التي يمرّ بها شارع الرشيد سوق الهرج، وهي السوق الأكثر فوضويّة في جانب الرصافة من بغداد. أيام الجمع تمور في شارع السوق الضيّق، والعيون تتطلع الى بضائع عفا عليها الزمن. ما من لص لم يمرّ على سوق الهرج العارم بكلّ المسروقات. توافه غابرة لا نفع فيها ملتقطة من رحم الماضي: آلات كهربائية، تحف، أسطوانات، أسرّة قديمة، حقائب، مفاتيح صدئة، ملابس مستعملة، كتب ومجلات، وبضائع أخرى تشهر عنادها الدائم في وجه كل جديد ومعاصر.

تتواصل المتاجر. شربت الحاج زبالة بأوانيه الزجاجيّة الكبيرة المحشوّة بشراب الزبيب الذي يقدّم مترافقاً مع الجبن الأبيض، يأتي على الجانب الأيسر من شارع الرشيد، يقابله كعك السيد الذي تأسّس في عام ١٩٠٦، ثم المصوّر الأهلي وصوره الفوتوغرافية الموزّعة على الواجهة لشخصيات العهد الملكي بوقارهم وحُسن هندامهم والبسمة المصطنعة المرسومة بدقّة على الشفاه. ثم ينتهي الشارع بأن يفتح ذراعيه ليستقبل ساحة الميدان بكل مودّة وحميميّة.

ساحة الميدان، الخطوة الأخيرة في مسار شارع الرشيد، ساحة كبيرة تدور حولها كل يوتوبيات الهوس المغلّف بحكايا الرغبة في أزقّة سرابية تعجّ بالباحثين عن المتعة المحرّمة. في منتصف الستينيات لم تكن (الميدان) وأطرافها المحاذية تحمل السمات التي عرفت بها قديماً، لم تكن سوى أطلال من منازل مائلة للهدم وواجهات كئيبة خلّفتها الأزمان الغابرة. حاضراً اتّسعت الساحة بعدما أزيلت تلك المنازل وتحوّلت الى سوق فوضويّة للملابس المستعملة.

الذاكرة العراقية ما زالت تستحضر حفلة أم كلثوم في صالة فندق (الهلال) الذي كان يحتل إحدى زوايا الساحة، كذلك احتفت سينما (رويال) التي افتتحت في عام ١٩٢٤ بعروض فرق يوسف وهبي وجورج أبيض وفاطمة رشدي. ويعدّ شارع الرشيد إمبراطورية تعجّ بالمقاهي: (البلدية)، (أم كلثوم)، (حسن عجمي)، (الزهاوي)، (البرلمان)، (شط العرب)، (البرازيلية) و(سمر). الكثير من الأحداث الجسام في تاريخ العراق المعاصر شهدها الشارع، حيث انطلقت من جامع الحيدر خانة عشرات التظاهرات المساندة لثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني، الى جانب مسيرات وتظاهرات أخرى خلال العهد الملكي مطالبة بالحرّية والاستقلال، كما شهد الشارع محاولة اغتيال الزعيم الوطني عبد الكريم قاسم في عام ١٩٦١، اضافة الى المواجهات المحتدمة بين أنصار الجمهورية وبين قطعان الحرس القومي سيّئ الصيت في ٨ شباط (فبراير) من عام ١٩٦٣. و(الرشيد) انزوى بعيداً منذ العقوبات الاقتصادية التي فرضت على نظام صدّام، ونال نصيبه من اضطراب الأحوال. (الرشيد) وطن في شارع دونما منازع، جمع بين ذراعيه الأحداث الأهم التي شكّلت ملامح تاريخ العراق المعاصر.

وسائط التنقل بين احياء بغداد القديمة

كمال لطيف

إنّ وسائط النقل في بغداد كانت بسيطة بساطة شوارعها وأهلها الذين طبعوا على البساطة في زيهم وعاداتهم وتقاليدهم.. لهذا فإن طبيعة وسائط النقل ترتبط بحجم المدينة ونشاط الناس فيها.. فبغداد كما يصفها البعض (بيت يمتد من باب المعظم شمالاً حتى سيد سلطان علي جنوباً ومن الشيخ عمر شرقاً حتى علاوي الحلة غرباً وسكانها عائلة واحدة موحدة العادات تشكل كسلاتها في محلة باب الشيخ وبني سعيد والفضل استعداداً للهلال . في سلمان باك. بعض المعمرين يتذكر: ان مدحت باشا خلال جولته في بغداد أمر بتبليط سوق البلانجية وهو اليوم شارع المأمون. وقد جرى تبليطه. بجلاميد. من الصخر لذا أطلق عليه. عكد الصخر. كما بدأ بمشروع. الترمواي. بين بغداد والكاظمية وجعله شركة مساهمة اشترك فيها جماعة من سكان بغداد والكاظمية.

ويذكر الكاتب عبدالكريم العلاف: ان الشركة نظمت ادارة للنقل وظلت سائرة بانتظام حتى سنة ١٩٤١ وبجانب هذه الواسطة المتطورة في نقل الناس كانت العربات والربلات التي تجرها الخيول تتجول في شوارع بغداد وأزقتها وكانت القوافل البرية تتألف من البغال والحمير والخيول ويسمون هذه المجموعة السائرة. الكروان. أما البدو فيسمونها . الضعن. والكروان يكون من ضمنه (تختة روان) وهي غرفة خشبية مربعة مجهزة بفراش تحمل من الامام والخلف.. أما القجارة فهو الهودج المستور بالقماش الذي يقي الراكب حرارة الشمس .

بعدها ظهرت عربات الركوب. اللاندون . والبرشقة. وكانت منطقة باب المعظم منطقة لوقوف الخيول والحمير التي كان يستأجرها الذين يرغبون في الذهاب الى الأعظمية ثم تحولت المنطقة الى (طوايل لعربات الركاب وخيولها).

أما دخول السيارات فقد جاءت بعد الاحتلال البريطاني للعراق.. فكانت في بغداد أربع أو خمس سيارات فقط الأولى عربة النقيب وعربة ابن جميل وعربة نصرت باشا مفتش الجيش وبعض القناصل كانت لها عربات ذات دولابين يجرها حصان واحد يجلس فيها القنصل وبجانبه زوجته لغرض النزهة.

ويذكر ان أحد الأغنياء كان يمتلك شركة للمواصلات بين تركيا وبغداد فيها مركبة يجرها عشرون حماراً ويستغرق قطع المسافة شهراً واحداً بعدها ظهرت الباصات الخشبية وقد تسببت في حينها في الازدحام مما حمل الحكومة على وضع شرطي مرور لتنظيم السير يسمى (نوبجي) كان يرتدي غطاء رأس فيه. لايت. اضافة الى ملابس خاصة.

كما كان هناك الربل.. ففي عام ١٩٢٠ استورد أحد العراقيين عشرة ربلات من الهند وفي عام ١٩٤٠ أخذ البغداديون يصنعون العربات بأنفسهم وكانت أجرة الركوب ثلاثة قروش.

وكان شرطي المرور يعاقب صاحب المركبة اذا تجاوز عددهم العدد المطلوب ويعاقب كذلك اذا وضع فانوساً بدون اضاءة ومن اشهر رجال المرور جندي بريطاني يدعى. أبو ديا ..وفي ٢٠ تشرين الأول سنة ١٩٢٦ تم مرور أول سيارة عراقية ألا وهي سيارة الملك فيصل الأول.

الصناعات الحرفية عند البغداديين

من امر كثير من الصناعات والحرف ان تروج رواجا ظاهرا ثم تؤول الى كساد ظاهر ايضا.
وقد ادركنا ذلك في ايامنا بفعل التطور الشامل الذي عرض لاحوال الاسواق وطراز حياة الناس وقيام الالة مقام اليد في الصناعة والزراعة وسائر اعمال المتكسبين من ذوي الاعمال اليومية، بل اصاب ذلك نظام الحياة في البيوت وتناول الكثير من اسباب معايش السكان. وانا لنجد في كتب الحسبة القديمة اسماء حرف وصناعات كثيرة لا نعرف منها اليوم شيئا اذ عرض لها الزوال لاكثر من سبب عارض، منه المعلوم ومنه المجهول.

الشيخ جلال الحنفي

وازاء ذلك تندثر الاسماء التي كانت اعلاما لتلك المواقع وربما ظلت هذه الاعلام على ذات علميتها فلم تندثر او تتبدل ولكن ما كانت قد سميت به زال كل الزوال..
ففي بغداد اليوم محلة يقال لها محلة (الصابونجية) كانت فيها اهراء لبيع الاعلاف لدواب الجيش والاهالي واصل التسمية "الصمانجية" نسبة الى كلمة "صمان" التي تعني التبن بالتركية ولا شيء من ذلك فيها اليوم!
ومحلة اخرى تليها يقال "البارودجية" وهم صانعو البارود وبائعوه ثم خفف الاسم فصار بارودية، ولصقها محلة "المجارية" الذين كانوا يكارون على دوابهم فتكون من هناك الاسفار او نقل الاحمال، ولاوجود لهم اليوم في هذا المكان ومثلها محلة (الفاطرخانة) التي تعني بالتركية مكان البغال..

وفي بغداد محلة (صبابيغ الال) الذين كانوا يعملون في صباغة الاقمشة باللون الاحمر ثم صاروا يعملون على صباغة الاقمشة والثياب باللون الازرق اي النيلي ولا وجود لهم اليوم اذ زالت هذه الصناعة وكنت ارى ايدي هؤلاء الصباغين او الصبابيغ على اللفظ البغدادي. قد تشبعت بلون النيل فما كان ينفع فيها الغسل ابتغاء ازالة الصبغ الذي تشبعت فيه..
ومن المحلات الدالة على الحرف والصناعات محلة (السبع طلان) التي تعني باعة الاسفاط وصانعيها او جالبيها، اخذا من اصل اللفظ "سبت ساطان" بالتركية..
ومنها محلة (الجشمجية) للعاملين على تنظيف البلاليع والمرافق اذ الكلمة من التركية "جشمة" اي عين وهو حرف معروف في اكثر من لغة شرقية..
ودربونة (الساقي) ليس فيها اليوم سقاء واحد لان اعمال السقا زالت منذ حين بفعل وصول الماء الى بيوت السكان بالانابيب.
ومحلة "الاتون" كان فيها معمل او اكثر من معمل لصنع الزجاج وقد جاءت الاشارة الى هذه الصناعة في بعض المصادر البغدادية المكتوبة منذ القرن الماضي.
ومحلة "الدوكجية" محلة لصنع المغازل اذ كانت المناسج في باب الشيخ تعد بالمئات والدوك هو المغزل.
ومحلة القزازة لحاكة القزاي الحرير يحكون منه الجزازي جمع (جزية) وهي كالغطرة.
ومحلة "البولنجية" المخصصة لصنع البرادع والحصانيات وكانت هناك اسواق مخصصة لصناعات وحرف معينة منها (سوك الحيص) التي كان يعمل فيها صانعو الحيص حرفتهم والحيص جمع حياصة وهي نوع من الاحزمة يتحزم بها لابسو الزبنات والصايات.
وسوك (اليمنجية) سوق تصنع فيه (اليمنيات) الحمر التي هي نوع مما تتحذى الناس به وتنتعل.
هنالك صناعات حرفية ادركناها وادركتها الناس منها "البصامة" التي يتعاطاها البصامة، وكان لها سوق رائجة وعرفت بها بيوت في بغداد وكل ملقب بلقب البصام هو من الاسر التي كانت تحترف هذه الحرفة.
ان كل صناعة حرفية لها ادواتها الخاصة بها، فمن مهمات حاجات البصام ان تكون له "تزكاه" خشبية، (وهذه محرفة من دست كاه اي محل عمل اليد) وتكون عليها جبنة تغطي مساحتها اذ يبسط عليها البصام قطع الخام التي يراجع في شأن بصمها بالنقوش المنقورة على "كلايش" خشبية يقال لها "جبات" احدتها "جبة" وتجاب هذه من خارج العراق وعند بدء التبصم بها تضرب على ما يشبه "الاصطمبة" التي تكون محبرة بالحبر الاسود الذي يصنع خصيصا لاغراض البصم.
ثم تغسل الاقمشة المبصومة بالماء البارد فيثبت بذلك النقش المنقوش ويزول الملح ولا يتمزق القماش من فعل الاملاح الحارقة ولصنع صبغة البصم من مادة صدفية الشكل يقال لها "الورك" مضافا اليها مسحوق البوتاز والزنجارة النية والشناذر بمقاييس يعرفونها ويضاف الى ذلك قدر من الكثيرة المذابة بالماء البارد.
وكنت في الصغر ارى البصامة يعملون عملهم في بصم (الجواتي) ـــجمع جتاية) اي عصائب النساء، وكذلك في بصم البقج وصرر اللحفان ووزرات الحمام.
وفي ايام الحرب العالمية الثانية اي في الاربعينيات نشطت صناعة البصام هذه اذ كانوا ينقشون على الخام الابيض ما يصلح ان يكون يشماغا للرجال.
ليس في بغداد اليوم بصام واحد اذ زالت هذه الحرفة منذ عقود كثيرة رغم انها حرفة تعاطاها المسلمون واليهود.
وفي كربلاء ما يبرح اناس يحترفون البصم وكنت رأيت بعضهم يستعمل الحبر الاحمر في ختم الاكفان خاصة..
من الصناعات التي انقرضت صناعة الاسطوانات الشمعية وهي التي كانوا يسجلون عليها الاغاني بجهاز خاص.
تكون الاسطوانة الشمعية اشبه بالكلاص الزجاجي وتكون مفتوحة من جهتيها فاذا اكمل العامل صبغها من الشمع ويكون طولها اقل من الفتر وعرضها اقل من الاصبع الصغرى اي الخنصر فاذا ركبت على جهاز "الفنغراف" امكن لمن يشاء ان يسجل عليها ما يشاء باستعمال "اكنة" خاصة ثم يعود فيستمع الى تسجيلاته "باكنة" اخرى زجاجية.
وكان لدي هذا الجهاز وعدد من الاسطوانات الشمعية وكان بعضها مسجلا عليه اكثر من مقام عراقي للمغني المشهور احمد زيدان..
لقد وصفت هذه الاسطوانات وصفا يطابق ما كان عندي منها.. اذ هناك جهاز اكبر مما عندي واسطوانات بحجم اكبر مما وصفت ومن هنا جاء اسم الاسطوانة فلما بدل شكلها الى شكل قرص راح القرص يحمل اسم الاسطوانة دون تبديل..
اما "الكندكارية" فهي احدى الصناعات الحرفية التي شاهدتها ايام الصغر وكنت اراها في سوق الصفافير فأظل الاحق اعمال محترفيها الاحظ تحركاتهم.
ان (الكندكارية) جمع (كندكار) اي الذي يصهر النحاس ويتخذ منه قطعا ولوحات تعد لاستعمال الصفافير اذ كانت الواح الصفر تنقطع عن السوق فكانوا يشترون القدور والصواني وغيرها من القراضات النحاسية والمتروكة و"الخشالة" فيصبونها في كورة خاصة ثم يخرجونها من الكورة قطعة حمراء نارية ضخمة فيلقونها على الارض بالملاقط والعنابير فيتداعى عليها عدد معدود من اصحاب المطارق ذات الاشكال المتنوعة وهم قيام فيطرقونها فتتمدد وتتسع حتى تصبح بكثرة معاودة الطرق عليها قرصا كبيرا يشبه اقراص النحاس المستوردة من الخارج.
كان اسلوب الطرق المتتابع على كتلة النحاس المستخرجة من الكورة يستهويني كثيرا فالبث عاكفا انظر ذلك.
ان هذه الصناعة انقرضت من بغداد نهائيا

منذ حين، وقد خرجت انا والزميل العلوجي الى الحلة فكربلاء بحثا عن الكورة لنراها فنصفها ولكن كورة (الكندكارية) واعدادهم الكثيرة كانت قد زالت قبل ذلك.

وقيل لنا ان الكورة تبنى على دكة وذاك بان يعقد عليها بالجص والطابوق ثم تقور في ارضيتها الداخلية حفرة على شكل "النجانة" ويسيح جدارها الداخلي بدقيق العظام المخلوط بمي الطين اي الطين الاحمر المخمر ويكون للكورة منفاخان يتصلان بالكورة من خلفها بواسطة انبوب من صفر يقال له "بلوغ" وتسع الكورة من القرضات المذابة ما يبلغ احيانا الثلاثة امنان.. وكان ايقادها يتم بحطب الطرفة والشوك.. وذاك فتحة امامية فيها..

ومن ادوات الكندكارية القوالب الطينية تتخذ من الطين الاحمر تفخر فتكون كالقحوف يصب فيها ذائب النحاس ولهم (جواكيج) شتى الضروب لها اسماؤها الخاصة واستعمالاتها الخاصة كذلك..

وقد اشرت في الصناعات والحرف البغدادية الى ان ملاك هذه الصناعة احد عشر عاملا ستة يطرقون والسابع يوقد الكورة ويقال له "كلطاو" واثنان ينفخان في الكير وهما "الهوادارية" وهناك عامل يقص زوائد الكله وحتاريفها والكلة هي القرص المطروق عليه..

ولكل جاكوج مهمة ولكل من ذلك اسم ومصطلح من ذلك جاكوج بالة بتفخيم الباء واللام ويكون الضرب بهذا الجاكوج على وسط القرص.. واخر يقال له شيش بك..

وكذلك كانت للصفافير (جواكيج) خاصة بهم منها "الدبحلي" و "الزي قد" والزي "ولهم سناديهم الخاصة التي منها "المخليمة" وغيرها..

ولقد كانت لصناعة الصفر والصفارين دولة دالت منذ حين الا ما قل ولم يدل..

كانت سوق الصفافير تصنع القدور والطشون والصواني وقابات الشوربة والانكريات وصفاري الهريسة وصفاري الدبس والكماكم وباتيلات الشركجية وركيات الحمام وهذه من حاجات النساء و سطول الابار والطاوات والجفاجير والمصفيات والجمجات والسفر طاسيات وقواطي الدوندرمة والسماورات والتبسيات والتكنيات والاباريق والسلبحيات واللكنات والقراوين واليادیات وحمالات الشموع واميال المآذن وغير ذلك.

فلما جاءت قدور الفافون وما اليه توقفت سوق الصفافير عن كثير من اعمالها وكذلك ضعفت اعمال "المبيضجية" الذين ترتبط صناعتهم بصناعة الصفافير.

ان صناعات كثيرة قد ضعفت منها صنع الكواريك والصجغات والمحجرات الخشبية وكراسي الحباب والشربلغات والجوادين والمياجين والتكم والدلكات وما ذكرناه من صناعة النجارين تليها صناعة الجراريغ التي انكسرت شوكتها اليوم.

وانقرض جانب مهم من اعمال البنائين الذين كان فيهم من يطوي الابار التي زالت اليوم من بغداد وانقرض بناتها الاولون.

وادركنا من اصحاب الحرف المحترفة اللازمة لاعمال البناء الضاربين على خشانة الجص اذ كان يباع مخلوطا بالحصى..

وادركت رواشيك السطوح بالطين الاحمر المخلوط بالتبن ويبقونه على جانب من قارعة الطريق اياما حتى يختمر.. وندر اليوم كواصيص الطابوك الذين كانت مهمتهم قص الطابوق بالمناشير على اشكال متنوعة منها المثلث والكالوك والمربع والقيناص.

وتوقفت اعمال المقرنصجي والمداواجي والداروز والفاجور والرار والهزار، وفقدت من عالم التداول تسميات ومصطلحات كثيرة منها في اسماء الطابوق الوسطاني والبابلي والماطلي والسمات وجبل سطيحي والحشري والاشكنك والمحير والحجار طبك والشد والسبط واللاش.

ولم يعد الرماد مادة بناء ولا النورة ولا الصاروج بعد ظهور السمنت وذيوع استعماله.

ومما ضعف من امر بعض الصناعات، صناعات الفخارين الذين كانت لصناعتهم الاسواق العامرة فلسنا نجد اليوم الجرار المنصوبة، التي قال فيها ضارب المثل "الف ضربة تنكسر والجرة منصوبة" ومثل ذلك ماكو بدار الحرة غير الكوز والجرة" ولا ما كان يقال له الطرطالة والفنطاس ولا البواكات التي كانت توضع تحت الحباب فيجتمع اليها الماء الصافي من الناكوط النازل من قعر الحب.. ان ذلك كان له مذاق عند ارتشاف رشفات باردة منه وكانوا يتخيرون هذا الماء لصنع الجاي لانه اصفى ما يكون من الماء الصافي..

ومن زمن بعيد انقرض التنك الذي ورد في المثل المضروب للخائب التعس الحظ اذ قالوا لمثله.

"اخذ لك تنك والحكم" والتنك غير التنكية اذ تكون فوهته ضيقة لا ينسكب منها ما فيها من المائدة بسهولة كما ان التنك يمكن شده بخيط وربطه الى الامتعة الشخصية التي تحمل على الدواب وما انقرض من هذه الكوازيات الجدع والبركان.

من الصناعات البغدادية القديمة صناعة الاصباغ كانت تطلي بها البساتيك والخمام والفناطيس والانجانات والجاسات فمنها الصبغ الاصفر الذي يصنع من رمل المشهد والقلاي والتوتياو طحين الشعير والكزبز الابيض اي كسارة الزجاج ومنها الصبغ الاخضر الذي يصنع من الكلو الذي هو محروق الاشنان ورمل المشهد والكزبز الابيض والتوفال وهو تراب الصفر وطحين الشعير.

وكانت صناعة (التنانير) شائعة ورائجة اذ تقوم في بيوت كثير من الناس لخبز الخبز وشي اللحوم وتكون صناعتها بجلب التراب الاحمر النقي وكان ذلك كثيرا في الارض البغدادية خارج المدينة فيضعون التراب في جفرة في الارض ثم يسكبون عليه الماء فاذا مرت عليه اربعة ايام اختمر الطين فيخلطونه بالتبن الناعم ويأخذون بمعالجته بالدعك ثم يقطعونه الى قطع صغار متساوية الحجم كأنها شنك العجين ثم يصنعون من كل قطعة حبلا فاذا اجتمعت لهم عدة حبال بدأوا فلفوا الحبل على الارض ثم اداروا عليه حبلا ثانيا وفوق الثاني اداروا ثالثا وهكذا.

وكانت الناس في بغداد تتخذ الكوارات جمع كوارة لخزن الحبوب وهذه تصنع صنع التنانير وقد انقرض ذلك.

ومن الصناعات التي كان لها وجودها في الاسواق صناعة الجكاير التي يستعان على صنعها بنساء في بيوتهن يتكسبن بتزبين اصابع الجكاير ووضع التتن فيها..

ولهذه الصناعة مصطلحات واسماء لا يعرفها الناس اليوم.. منها لفظة البقجة وهي عشرة اطواب والطوب عشرة اصابع والاصبع خمسون انبوبة ورقية.. منها جكاير عرب.. وجكاير اللف وكان المدخنون يضعون جكايرهم في علب معدنية اوجلدية حتى ظهرت الشركات فصارت تصنع الجكاير في علب ورقية اغنت المدخنين عن تلك القواطي.

وكانت في بغداد سوق يقال لها سوق (الجبغجية) مكانها عند جامع الوزير القائم على كتف الجسر القديم تصنع فيه الجبغات التي كانت يستعملها المدخنون قديما وهي قصبة تبلغ مترا في الطول او نحوه وقد انقرضت في بغداد ولكن شيئا منها ما يزال موجودا في الموصل يستعمله شيبة القوم.

والابتلاء بالتتن جر الى صناعات منها صناعة السبلان والنواركيل وجر ذلك الى اكتشاف طرائق شتى لتزيين النواركيل وتجميلها.

وصنعوا من التتن ما يسمى البرنوطي والسويكة وجر هذا كذلك الى اتخاذ علب ذات رونق وزينة لوضع البرنوطي فيها.

والبرنوطي لفظ من التركية معناه حشيئة الانف (برون اوتي) وهو مادة تصنع محليا وذلك بجلب كمية من التتن من النوع الكسكين اي الحار اللاسع فينطحن ناعما ثم يخمر فيسود لونه بعد التخمير ثم يضعون عليه شيئا من العطور فيتسمى البرنوطي بأسم العطر الذي عطر به ومن هاتيك العطور البنفشة والقداح والرازقي.

ومن صانعيه من يخمره بنقيع ثفالة الورد وزنجارة الحديد وهذه من بعض طرق الغش في الصناعة.

وكانت للبرنوطي سوق يقال لها سوك البرنوطي على انه موجود لدى معظم باعة الجكاير.

ومن انواعه القس والبنافي والفرنساوي والكوزين والبشاور..

ومما انقرض من هذه المكيفات ما يقال له السويكة او تتن سنون وهو يصنع من تتن النواركيل الهندي خاصة اذ يدق بالجاون ثم يخمر بماء النورة والكلو مدة اسبوع ويظلون يرشون عليه هذا الماء.. يبدو تتن السويكة اصفر فاقع اللون لطيف المنظر يقتنيه مستعملوه في علب او قناني صغيرة تكون في جيوبهم يأخذون من هذه المادة بين اصابعهم شيئا يسيرا يدسونه في منطوى الشفة السفلى فيلبث فيها بعض الوقت.

واذا كنت صغيرا اشتريت منه كمية دسستها كلها في فمي ظنا مني انها شيء يؤكل فوجدتني سقطت على الارض ونهضت واذا بالناس في السوق يهبون لمعالجتي ولا اتذكر ما كان بعد ذلك.

ومن الصناعات التي كانت معروفة في بغداد صناعة الكفف النهرية والكفف او الكفاف من وسائط النقل النهري وكانت كثيرة الحركة في دجلة تنقل الاحمال والثمار والحصو وغير ذلك وتصنع من الحلفة المخروزة بالخيوط ثم يضعون لها روط الرمان وغيره وهي اغصان رفيعة كالسيور يخيطونها في مواقع معينة منا لكفة لتكون اضلاعا لها ثم يقيرونها بالقير الاسود بعد خلطه بمادة تمسكه عن السيلان ثم يدهنون ذلك بالشيرج ثم ينزلون الكفة الى النهر بواسطة القواليز وهي اخشاب لها فعل العتلات.

والكفف انواع منها نوع لا تتسع لاكثر من ثلاثة اشخاص ومن الكفف "الحصان" وتحمل هذه ما يزن طغارين كما تتسع لحمل ثلاثة خيول اذ تكون مساحة قاعها خمسة امتار في اربعة اما ثخن جدارها فانه فوق الشبر.

وقد انقرضت صناعة الكفف والارتزاق بها لانعدام الحاجة الى ذلك ومن الصناعات الشعبية التي انقرضت صناعة الصابون وطريقتها ان يذوبوا الشحوم ثم يخلطون ذلك بالتيزاب والتلك والجلو بنسب يعرفونها ثم يصبون ذلك الخليط الذائب على البارية فاذا جمد قليلا قطعوه الى قطع قلما كانت متشابهة في حجم او طول وعرض يستعملون هذا الصابون في غسل الملابس ويسمونه صابون شحم وهو اشد صلابة من الحجر وكنت ارى صناعته في بعض البيوت بمحلة حمام المالح وكثيرا ما تلصق به ذرات ترابية..

اما صابون البنوشة وكان يباع لدى العطارين فانه يكون بطول شبرين تعلق الصابونة بخيط في مقدمة دكان العطار واحسب الناس كانت تشتري منها الجزء الذي هو في حاجة الى استعماله..

ثم ظهر صابون شماش لغسل الملابس في ايام الحرب العالمية الثانية صرنا نشاهد الصوابين الملونة ذات العطر الفواح مما كان يستورد من خارج العراق.

من الصناعات الحرفية لدى البغداديين الحياكة التي كانت تتناول شتى انماط المنسوجات مما يستعمل للفرش ومما يستعمل للملابس وكان من اشهر ذلك الازر التي عرفت منها مناسج ومغازل كثيرة جدا في باب الشيخ اذ كانت الازر من اكسية النساء ثم صارت الازر خاصة بنساء اليهود ثم انتهى امر الازر وحاكتها وهي من اغلى الوان الحرير واحسب ان لقب القزازة يتناول هؤلاء ايضا وقد مر الكلام على شيء من ذلك..

وكانت حياكة حصران الخيزران شائعة يحسنها الحاكة وكثيرا ما كنا نراهم يتخذون اماكن من الطرق المطروقة بالناس لحياكة الحصران.

واخيرا لقد تركت صناعات عديدة في بغداد بصماتها في القاب اسر كثيرة ما زال ابناؤها واحفادها يعرفون بها كالجرجفجي والكبانجي والشكرجي والتكمه جي والازري والعطار والصفار والنقاش والحداد والقنديلجي والصندوقجي والنجار والبناء وغيرهم.

جريدة الاتحاد حزيران 1986

هنالك صناعات حرفية ادركناها وادركتها الناس منها "البصامة" التي يتعاطاها البصامة، وكان لها سوق رائجة وعرفت بها بيوت في بغداد وكل ملقب بلقب البصام هو من الاسر التي كانت تحترف هذه الحرفة .

ان صناعات كثيرة قد ضعفت منها صنع الكواريك والصجغات والمحجرات الخشبية وكراسي الحباب والشربلغات والجوادين والمياجين والتكم والدلكات وما ذكرناه من صناعة النجارين تليها صناعة الجراريغ التي انكسرت شوكتها اليوم .

حالة بغداد في العهد العثماني ..

1890

قيل أن بغداد كانت سوقاً يقصدها أهل الصين بتجارتهم فيربحون الربح الواسع وكان اسم ملك الصين بغ- فإذا انصرفوا الى بلادهم قالوا بغداد أي هذا الربح الذي ربحوه من عطية الملك أي ملكهم بغ (كل ما ذكر أعلاه مقتبس من معجم البلدان مادة بغداد). ويقول الأستاذ علي ظريف الأعظمي في تأريخه (مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث) بأن بغداد من المدن الكلدانية القديمة وكانت عامرة قبل الميلاد بنحو ألفي سنة وقد أيدت الكتابات التي وجدها الباحثون على كثير من الآجر القديم بلفظ (بل دودو) وعلى بعضه (بغدادو) أو بغدانو ومعنى بل دودو مدينة الآله في لغة السريانيين الكلدان ويقول الظاهر أن هذه الكلمة تحرفت الى بغداد.

الجسور

كان يوجد جسر واحد يربط جانبي بغداد وهو الذي رأسه في ظهر جامع الآصفية (المولة خانه) قرب المستنصرية والرأس الآخر في جانب الكرخ بين قهوة البيروتي وقهوة العكامة وموضعه في محل الجسر القائم الآن والمسمى (بالجسر القديم) كان قائما على ٢٤ زورقاً يقال للواحد منها جسارية طوله ٢٢٠ متراً تقريباً، وجسر آخر يصل الأعظمية بالضفة التي يذهب الى الكاظمية وثم جسر آخر في جنوب بغداد في محل قصبة كلواذي القديمة تقريباً يسمى جسر قراره ولا يوجد غير ذلك وملتزم الجسر أو ناظره يقال له (عزب اغاسي).

الشرايع

لما كانت المباني في بغداد متصلة بالنهر من القديم كانت بينها فرجات يمكن النزول منها الى النهر للاستقاء أو للعبور الى الجانب الآخر وكل واحدة من هذه تسمى شريعة فالشرايع في جانب الرصافة عددها (١٤) اليك هي: من الشمال الى الجنوب، شريعة المجيدية وهي خارج السور، وشريعة البقجة وهي بين مكتب الصنايع والنادي العسكري وشريعة القشلة وهي بينها وبين المدرسة الإعدادية العسكرية وشريعة الجسر وهي بجانب الجسر القديم وشريعة المصبغة وهي بين المستنصرية وقهوة الشط وشريعة خان التمر وهي جنوب خان الدفتردار وشريعة المحكمة الشرعية والذهاب إليها من داخل المحكمة وشريعة الغالبية وشريعة بيت النواب والذهاب إليها من جانب اورزدي باك، وشريعة بيت الباجه جي أو العمار وهنا أنشئ الجسر الثاني مؤخراً، وشريعة السيد سلطان علي وهي في الجهة الجنوبية منه، وشريعة المربعة أو الملا حمادي وهي أسفل من التي قبلها، وشريعة كرد الشيخ والذهاب إليها من استقامة شارع الكيلاني، وشريعة السنك وهي مقابل شارع السنك وشريعة الفناهرة وهي تقابل محلة الفناهرة.

وفي جانب الكرخ (١٠) وهي شريعة الجعيفر في آخر الكرخ من الشمال وبعدها شريعة خضر الياس بجانب مسجد خضر الياس وشريعة القمرية بجانب جامع القمرية وشريعة (الدمير خانه) وشريعة بيت النواب بجانب الدار المنسوبة الى آل النواب وشريعة بيت الأيلجي وشريعة رأس الجسر بجانب الجسر القديم وشريعة السيف بآخر السوق المنتهي بالمسجد الصغير وشريعة الشواكه والكريمات فتجد أن الشرايع في الكرخ أقل مما في الرصافة وذلك لأن ضفة الكرخ عالية جداً ثم قصر المسافة بين أول الكرخ وآخره.

المحلات

ذكرنا أسماء المحلات مرتبة على حروف المعجم وهي إما باسم عشيرة أو جامع أو معبد أو مرقد أو سوق أو جماعة ينتمون الى بعض البلاد أو صنف من أصحاب الأعمال أو علم خاص أو طبيعة الأرض وهي جانب الرصافة:-

آل أبي شبل، آل أبي مفرج، إمام طه، باب الأغا، باب الشيخ، بارودية، بني سعيد، تبة الكرد، تحت التكية، تسابيل، توراة، جديد حسن باشا، جوبة، حاج فتحي، حمام المالح، حنون صغير، حنون كبير، حيدر خانه، خالدية، خان لاوند، دشتي، دكان شناوة، دهانه، رأس الساقية، ست هدية، سراج الدين، سنك، سور، سوق عبيد، سوق الغزل، سويدان، سيد عبد الله، صبابيغ الآل، طاطران، طوب، عاقوليه، عزات طوالات، عزة، عمار سبع أبكار، غالبية، فرج الله، فضل، فناهرة، قاطرخانه، قراغول، قرة شعبان، قشل، قمر الدين، قنبر علي، قهوة شكر، كبيسات كولات، مربعة مهدية، ميدان، هيتاويين، ينكيجة، وفي جانب الكرخ:-

باب السيف، تكارته، جامع عطا، جامع غنام، جعيفر، خضر الياس، دوريين، راس الجسر، ست نفيسة، سوق الجديد، سوق حمادة، سوق العجيمي، شواكة، شيخ بشار، شيخ صندل، شيخ علي، علاوي الحلة، فحامه، فلاحات، كريمات، المشاهدة.

الشوارع

يوجد شوارع بالمعنى أو العرض أو الاستقامة المتعارفة اليوم إلا شارع الميدان وشارع السراي وشارع سيد سلطان علي وكل ما هو بعرضها وامتدادها ويطلق عليه أسم العقد والدرب أيضاً مثل عقد القشل وعقد الصخر وعقد الخناق وغيره وأكثرها ليس لها أسم أو لها أسماء مختلفة كل يسميها باسم ينسبها الى أحد ساكنيها والغير نافذ يسمى دربونه طالت أم قصرت والطرق كلها غير منتظمة ولا مستقيمة وأكثرها ضيق ومعوج وسبب الضيق يقال عدم الأمن ولكني أرى سببه الحر الشديد في الصيف والبرد في الشتاء وعدم وجود تنظيم في البلديات.

البساتين

كان يوجد بساتين في القسم الجنوبي من بغداد داخل السور بين جامع السيد سلطان علي والباب الشرقي وفيها النخيل على الأكثر وقليل من الفواكه وبعض الخضراوات وهذه أهمها الكمالية والجوبه جي واوسته عباس والنقيب لأو السرداحية والنقره واكريبوز والمندلاوي والبكري وغيرها.

الأسواق

الأسواق في بغداد كثيرة منها مجتمعة وهي المهمة نمر بك فيها بالترتيب فأول ما نبدأ من سوق السراي وهو يبتدئ من تلاقي شارع القشلة بشارع الاكمكخانه (المخبز العسكري) وفيه بائعو الكتب فنقطعه الى الجنوب فتجد على يسارك سوق السراريج (السراجين) وهو ذو شعب كالقيصيرية له باب يقفل وباب ثانية على الشارع الخلفي ثم تستمر في استقامتك فتشاهد سوق الجبوقجيه قديماً ثم صار للقوندرجيه فتقطعه فترى عن يمينك سوق بائعي القرطاسية الذاهب الى منفذ له يخرج الى الجسر ثم تستمر فترى سوق المولة خانه وفيه البقالون وعن يسارك سوق الدنكجيه وفيه يجري تقشير (تهبيش) التمن (الأرز) وفيه تجار التوتون يخرج الى سوق باب الآغا وتستمر في استقامتك فترى عن يمينك سوق رأس الجسر أو سوق السيان ينتهي في رأس الجسر وله باب هناك وفيه تباع السبلان والكاهي وبعض مواد السراجه ويوجد من سوق رأس الجسر سوق آخر يتشعب منه ويوازي استقامتك الأولى وينتهي في سوق الكمرك الذي سنصل إليه من الاستقامة الأولى أيضاً ويسمى سوق دانيال وفي هذا تباع الملابس وبعض المواد القديمة والقسم الأخير منه القريب من سوق الكمرك يسمى سوق هرج وهو يعمل فيه المزاد للأمتعة المستعملة وتستمر في استقامتك الأولى فتخترق سوق الخردة فروشية وفي وسطه الى يمينك منفذ الى سوق دانيال يقابل باب خان المواصلة (المستنصرية) فيه وتمشي فتقطع بقية سوق الخردة فروشية فيأتيك سوق الهرج القديم وهو في وقتنا الذي نصفه فيه يسمى سوق العباجية تباع فيه العبي والعقل والأرز والأبريسم والقز للنساء ويسمى سوق الشيخلية أيضاً وفي أول هذا السوق منفذ آخر على اليمين الى سوق دانيال وعلى اليسار سوق آخر يدور بعد خطوات الى اليمين بزاوية قائمة تاركاً باب جامع القبلانية في رأس الزاوية ويستمر فيوازي سوق الهرج القديم وهذا يسمى سوق القبلانية وتباع فيه المفروشات بأنواعها الزوالي والدواشك واللحف والحصران وما أشبه فيكون هنا ثلاثة أسواق موازية لبعضها وكلها تنتهي في سوق الكمرك الذي يتعامد معهم فإذا خرجت من سوق الهرج القديم يكون سوق الكمرك الى اليمين والى اليسار فبعد أن تقطع مسافة قصيرة الى جهة اليسار تجد أمامك سوقاً متعامداً معه ويستقيم مع سوق القبلانية يسمى سوق الجوخه جيه وإذا إتجهت الى يمينك بعد خروجك من سوق الهرج القديم وقطعك مسافة قليلة في سوق الكمرك هذا يكون عن يمينك منتهى سوق دانيال ثم مسافة أخرى قليلة أيضاً تراه يدور بزاوية قائمة

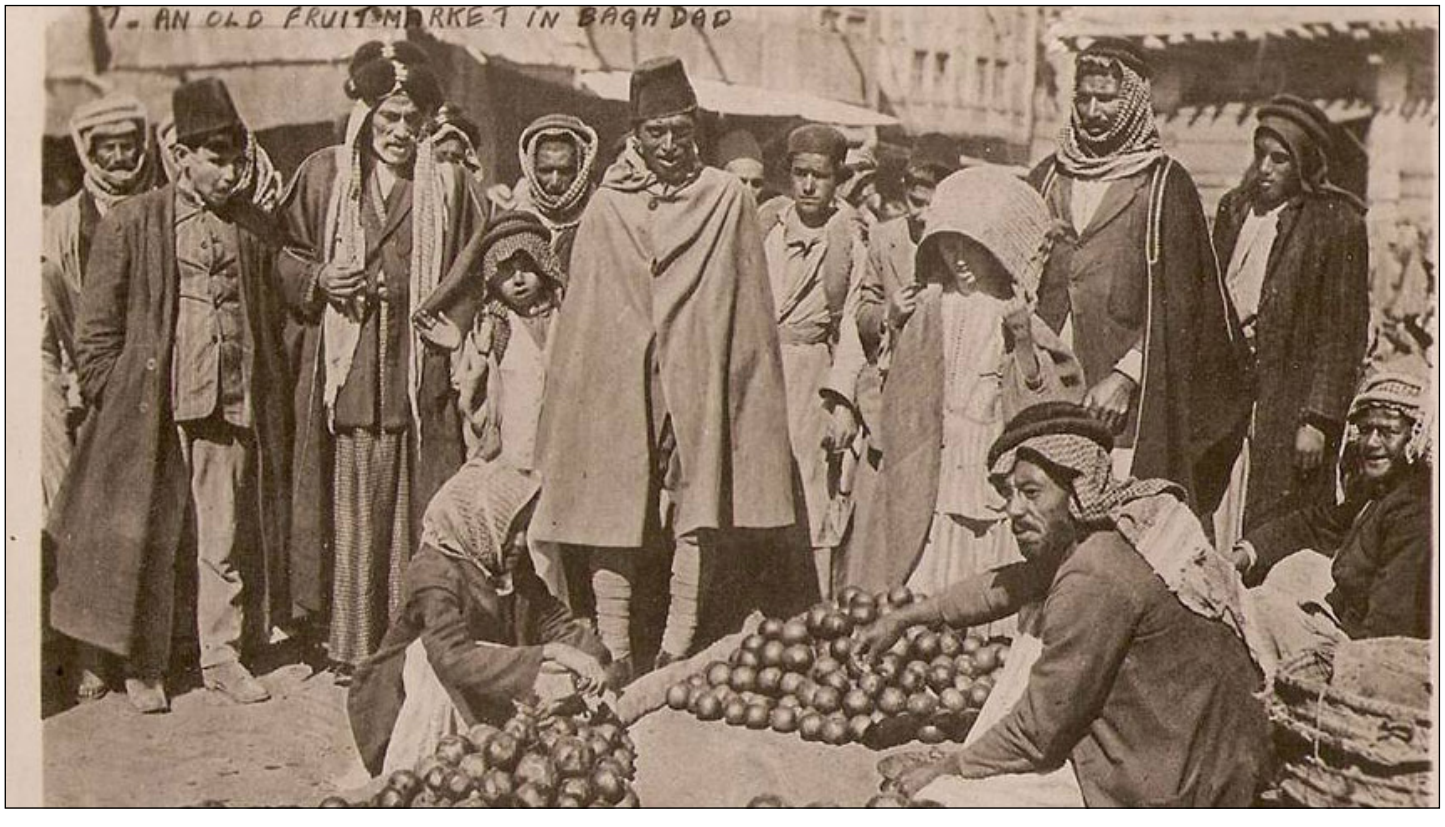

الى اليسار فذاك سوق الصياغ أولاً ثم صار للخفافين فسوق الخفافين وسوق الجوخه جيه متوازيان ومتباعدان يكتنفان خاناً كبيراً للصاغة يسمى خان جغان فلنمر بك أولاً في سوق الجوخه جيه وهو تباع فيه الأجواخ خاصة ومعها أقمشة أخرى حريرية فعند أول مرورك به تجد على يسارك سوق الصفافير متعامداً معه يخرج الى سوق باب الآغا وبعد شطر من سوق الجوخه جيه تجد الى اليسار سوق القزازين وبعد قليل سوق الخرابة وهو خرب متروك لا شيء فيه ويقابل هذا عن اليمين سوق يسمى سوق الزنجيل لسلسة كانت في مدخله وبعد قليل الى اليمين أيضاً سوق أوسع من الأول وهما خاصان بالخفافين وفيهما الصناع الذين يصنعون اليمنيات الحمر وكلاهما يخرجان الى سوق الصياغ المذكور سابقاً.

ثم تجد عن يسارك مقابل الثاني منهما سوق الجايف وفيه المعمولات المحلية البز والبشتمالات والمناشف والبيرمات والعرقجينات وغيرها فتمر به خطوات فينعكس الى يمينك بزاوية قائمة ويخرج الى سوق البزازين الذي سنأتي إليه من استقامة سوق الجوخه جيه ثم نستمر في سوق الجوخه جيه وهناك سوق الزرور تباع فيه الخيوط والأزرار والقياطين الحريرية التي يستعملها الخياطون للزبنات والدميرات وما أشبه وبعد الخروج منه صرنا وإياك في سوق البزازين وهو الى يميننا والى يسارنا وقبل أن نمر به يقابلنا سوق الطمغة وفيه تباع الجلود والكواني وغيرها.

وفيه مخزن كبير جعل مركزاً لملتزم الطمغة وهو يخرج الى سوق القيصيرية فلنتركه الآن ونرجع فنمضي في سوق البزازين الى اليسار أولا فنصادف مخرج سوق الجايف، قيل إن سبب تسمية هذا السوق بالجايف قد تكدست فيه الجنائز بسبب الطاعون الكبير الذي سيجيء ذكره في مادة (الطاعون يرافقه غرق بغداد) عن يسارنا وبعد قليل سوق الصرافين عن يميننا وهذا يخرج الى سوق القيصرية ويسمى أيضاً سوق الباشا ثم مخرج سوق القزازين عن يسارنا (وهو يتعامد من نهايته بنهاية أخيه الذي ذكرناه عندما كنا في سوق الجوخه جيه) فالأول خاص بعمل الهميانات وهذا الثاني بعمل الحيص وهما نوعان من الأحزمة وبعد قليل نشاهد باب القيصرية عن يميننا ولها باب يغلق وآخر ينفذ الى سوقها من خلفها وبعد باب القيصرية بمسافة يأتيك سوق الخياطين عن اليسار ويسمى سوق المرادية أيضاً يقابله عن يمينك باب خان الأورتمه ثم نمر بقسم آخر من سوق البزازين أوسع من الأول يسمى سوق العريض فنخرج الى أول سوق باب الآغا المتعامد معه والذي يمتد الى اليسار ويمتد سوق آخر الى اليمين تباع فيه المسامير والأدوات النجارية الأخرى ثم نتياسر ويسمى سوق العطاطير ويقابل سوق العطاطير منتهى سوق القيصرية وفي نقطة إتصال هذه الأسواق الثلاثة توجد باب جامع مرجان فلنعد بك وأنت خارج من سوق الجوخه جيه ومستقبل سوق الطمغة (في سوق البزازين) فتذهب الى يمينك فترى سوق الكبابجيه وفيه يباع الشواء والمأكولات الأخرى الجاهزة ويخرج الى سوق الصياغ ويستمر سوق الكبابجية هذا بإستقامة مخترق سوق الصياغ الى شريعة المصبغة فإذا توسطت في نقطة تلاقي سوق الكبابجية وسوق الصياغ وجعلت شريعة المصبغة عن يمينك وسوق الكبابجيه عن يسارك فحينئذ يكون الصياغ خلفك فيقابلك سوق السررجية وهو يعمل فيه الأسرة من سعف النخل فتقطعه ومنه الى شارع الى اليسار يذهب الى سوق القيصرية وسوق القيصرية هذا تباع فيه الكواني والبرنوطي وفيه مجلدو الكتب والدفاتر وغيرها ويسمى سوق الصحاحيف (المجلدين) وينتهي عند باب جامع مرجان بقي علينا أن نصف لك سوق باب الآغا وهو إذا إنتهيت من سوق العريض وجعلت سوق البزازين خلفك فأمشي الى يسارك تجد سوق باب الآغا وهو أقسام فأول قسم منه هو سوق الاسكه جيه تباع فيه اليمنيات والقنادر العتيقة بعد تعميرها ثم سوق الحدادين ثم التنكجية وترى منتهى سوق الصفافير عن يسارك ثم صانعي البرنج ثم منتهى سوق الدنكجيه على يسارك أيضاً ثم سوق الحيدر خانه وفي هذا الأخير أشياء مختلفة كأنه سوق خاص بالمحلة ثم ينفذ بعد شارع طويل ضيق الى سوق الهرج الذي في الميدان فنرجع الآن الى سوق العريض ونولي ظهرنا سوق البزازين ثم نمشي الى يميننا وبعد أن نخترق السوق الصغير الذي تباع فيه المسامير نقابل جامع مرجان فيكون عن يميننا منتهى سوق القيصرية فنذهب الى اليسار وندخل في سوق العطاطير تباع فيه أنواع العطارة ثم يأتيك سوق الشورجة وهو للخردة فرشية ثم سوق البقال خانه فيه تباع الفواكه ثم حمام الشورجة عن يمينك وتستمر فتدخل في سوق المناخل ثم علوتين للحبوب متقابلتين ثم سوق التمارة وهو للتمر والخضراوات ثم علاوي الشورجة على كلا الجانبين ويكون عن يمينك سوق الغزل وفيه منارة سوق الغزل القديمة وهي لجامع القصر الذي لم يبق منه سوى قسم قليل دعي بجامع الخلفاء وتستمر في طريقك فترى سوق الدهانة وفيه بائعي الشموع والشكرجية (بائعو الحلويات).

وبقي من الأسواق المهمة سوق الميدان وهو إذا وليت ظهرك سوق السراي ومضيت في شارع القشلة تجد بابها عن يسارك يقابلها دائرة البلدية الأولى ثم تستمر فتجد جامع حسن باشا عن اليمين وباب السراي عن اليسار وباب قشلة الضبطية أمامك فتدور حينئذ الى اليمين بزاوية قائمة ماشياً خمسين خطوة أو أكثر ثم تستمر فتدور نحو اليسار وهذا هو سوق الميدان وفيه المطاعم وبعض باعة الخرداوات وغيرها وبعد مدخل سوق الهرج على يمينك تدور الى اليسار أيضاً وتنتهي في ساحة الميدان وفي القسم الأخير هذا منه تباع بعض المأكولات والحلويات وأشياء أخرى مختلفة.

وعدا هذه الأسواق توجد أسواق كثيرة في بعض المحلات تزودها بما تحتاجه من المواد الضرورية للبيت هذا كله في جهة الرصافة.

وأما في جهة الكرخ فيوجد كثير من العلاوي للحبوب في جهات علاوي الحلة والشيخ صندل والشيخ معروف وتوجد أسواق أخرى متفرقة في المحلات فيها كل ما يحتاجه البيت.

وقد مضينا في تفصيل الأسواق أكثر من أي مادة أخرى في هذا الفصل لأهميتها أولاً ولوجود الخانات وبعض الجوامع فيها حتى إذا ذكرنا الجوامع والخانات في مادتيهما نكتفي بذكر محل وقوعهما من الأسواق فيمكن القارئ الوصول إليهما بسهولة.

الحمامات –وهي متفرقة في بغداد

حمام الباشا في سوق الميدان.

حمام حيدر في محلة رأس القرية.

حمام القاضي بجانب المحكمة الشرعية.

حمام الكمرك عند الدخول الى الكمرك من سوته.

حمام الكهيه في محلة دكان شناوه قرب جامه الكهية.

حمام الشورجه في سوق الشورجه.

حمام السيد في محلة سراج الدين.

حمام التيلخانه بجانب دائرة البريد والبرق.

حمام الكيجه جيه في سوق الآغا.

حمام بنجه علي في سوق باب الآغا.

حمام المالح في المحلة المسماة به.

حمام عويد في محلة المربعة.

حمام تاجه في محلة حاج فتحي.

حمام الراعي أدركنا خرائبه في محلة قهوة شكر قرب الفناهرة.

حمام الخسته خانه بين السراي والخسته خانه العسكرية التي هي نادي عسكري الآن وقبل أن تنتقل الى المجيدية.

حمام عفيان في محلة الفضل.

حمام الفضوة في محلة باب الشيخ قرب فضوة عرب هذا كله في جانب الرصافة.

حمام أيوب وحمام شامي وحمام اليتيم (بالتصغير) في جانب الكرخ.

المجازر

ما كان يوجد مجزرة بالمعنى المفهوم اليوم بل قد خصص محال متعددة خارج الدور مما يلي المقابر في كلا الجانبين الرصافة والكرخ وعليها مراقبة بالاسم وبعض الولاة كان يشدد بالمراقبة فتأتي الذبائح ممهورة فإذا استبدل ذلك الوالي أهملت والبلدية تستلم رسوم الذبيحة أو تعطيها بالالتزام على الأكثر.

الدور والدكاكين ونحوها

كان يوجد في بغداد ١٨٠١٧ داراً و ٣٢٤٤ دكاناً و١١ دكاناً كبيراً (مغازة) و ١٢٤ علوه و١١ صيدلية و٦٨ مصبغة و٢٠ شكرخانه و٣٤ كتاباً للأطفال و ٤ لوكندات (مطاعم).

أماكن الحكومة

المجيدية وكانت مستشفى عسكرياً وقبل ذلك كانت (ملت باغجه سي) وقبلها قصر لإقامة ناصر الدين شاه عند زيارته بغداد وقبلها كان قصراً للوالي نجيب باشا الذي تولى الحكم من سنة ١٢٥٨ الى سنة ١٢٦٤.

الدكرمان.. المطحنة العسكرية تقع شمال المجيدية على ساحل دجلة وهي كانت تجهز الطحين للجيش.

الأكمكخانه.. المخبز العسكري تقع في منتهى شارع بجانب مدخل السراي الخاص بالكتبيه فيها أفران يعمل فيها الخبز (الصمون) للجيش من قبل سرية تنسب الى فوج الأعمالات.

السراي.. يقع باتصال القشلة العسكرية من شمالها على ساحل دجلة وهو مربع مستطيل الشكل، المباني فيه على الجهات الأربع ذات طابقين والفوقاني له طارمه أمام الغرف قائمة على دعامات خشبيه ولها محجر خشبي يطل على الساحة الوسطية فيمكنك أن تمر بالجهات الربع لا حاجز يمنعك من الوصول الى النقطة التي تحركت منها وأمام الجبهة التي تطل على النهر من جهة الساحة الوسطية خرجة مدورة ولها محجر ودرجان من الجهتين خاصة لقراءة الفرامين والأدعية للسلطان وما أشبه.

القشلة.. وهي في جنوب السراي على النهر أيضاً أطول من السراي بمرة ونصف تقريباً ذات طابقين إلا من جهة النهر فمكشوفه وفي وسط هذه الجهة ساعة كبيرة قائمة فوق مناره التحميص خانه.. وفيها يجري تحميص القهوة تقع قبال باب جامع المولة خانه ويؤخذ على القهوة رسوم أي أجرة تحميص وليس للقهواتية أن يحمصوا القهوة في محل آخر.

المطبخ العسكري.. وهي البناية المتصلة ببناية البلدية الأولى من شمالها الى حد جامع حسن باشا.

المدرسة الإعدادية العسكرية.. وهي البناية التي تطل على دجلة جنوبي القشلة يفصل بينهما شارع يؤدي الى النهر وهناك شريعة المكتب أو شريعة القشلة.

قشلة الضبطية.. تقع في منعطف شارع السراي مع سوق الميدان أي في شرق حرم الوالي وله باب أخرى خلفيه تؤدي الى جامع النعمانية.

المعامل

يوجد من المعامل (العبخانه) معمل النسيج (الدبخانه) معمل دباغة الجلود (البوزخانه) معمل الثلج (الدكرمان) المطحنة العسكرية هذه هي التي تدور بالمحركات وكلها عائدة للحكومة أما معامل الطابوق والكوازة ودباغة الجلود في الأعظمية ومعامل الحلويات وهذه لا تسمى معامل حيث تدار باليد وليس بالمحركات ولا يوجد غير ذلك.

المصارف (البنوك)

كان يوجد بنكان فقط البنك الشهنشاهي الإيراني أفتتح في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٠٧هـ الموافق ١٦ تموز ١٨٩٠م، والبنك السلطاني العثماني أفتتح في ١٢جمادى الأولى ١٣١٠هـ الموافق ١ كانون الأول ١٨٩٢م.

المطاعم

كان يوجد ثلاثة أو أربعة مطاعم في سوق الميدان تسمى لوقنطه في حالة بسيطة جداً لا أثر للنظافة فيها وعدا ذلك يوجد دكاكين الكباب المنتشرة في أكثر الأماكن ومركزها المهم هو سوق الكبجيه المعروف الى الآن بهذا الأسم ومحل آخر بالصابونجية والأخير أكثر شهرة عند أهل بغداد وبعضهم يصف الأطعمة المشهورة في بغداد بقوله (خبز باب الآغا وطرشي خان جغان وكباب الصابونجية) وهي أفضل المطاعم لمن يريد أن يتغدى خارج بيته.

المدارس

أولاً مدارس الحكومة وهي: المعلمون التلاميذ

– المدرسة الإعدادية العسكرية	١٧	١٢٢
– المدرسة الإعدادية الملكية	٧	٣٠
– المدرسة الرشدية العسكرية	١٥	٥٣٣
– المدرسة الرشدية الملكية	٥	١٢٠
– مدرسة الصنايع	٥	٥٨
– المدرسة الحميدية للأطفال	٢	١٢٠
– مدرسة جديد حسن باشا	٢	٩٤
– المدرسة العثمانية	١	٥٥
– مدرسة الفضل	٢	١١٣
– مدرسة الكرخ	١	٧٦
– مدرسة الأعظمية	١	٣٠

هكذا كانت في سنة ١٣١١هـ، وتوجد مدارس للفرق المختلفة من النصارى عددها ٨ ومعلومها ٢٧ وتلاميذها ١٤٤٠ ومدارس لليهود منها الاليانس الإسرائيلي معلموها ٥ وتلاميذها ١٥٠ ونحو ٢٠ مدرسة أخرى في المعابد اليهودية معدل تلاميذ كل منها ٢٠ وهي كالكتاتيب عندنا.

وأما المدارس الدينية وعددها ٢٧ في المساجد فكانت عامرة وطلابها كثيرون ولكل منها مدرس خاص يتقاضى راتبه من الأوقاف وكان الإقبال كبيراً على هذه المدارس لأن قسماً كبيراً من الأهالي كان يدرس فيها تخلصاً من الجندية فكانوا يؤدون الامتحان طيلة الست سنوات التي يطلبون فيها للتجنيد فإذا أدوه عفوا من الجندية ثم ألغى الامتحان وأستعيض عنه بإبراز شهادة الدوام من المدرس فقط فكان من هؤلاء يتعين قضاة ومدرسين ووعاظ وخطباء ومعلمين في المدارس الرسمية وغيرها.

وكان يوجد كتاتيب كثيرة منتشرة في أكثر مساجد بغداد عددها ٣٤ وبواسطتها كان الناس يتعلمون القراءة والكتابة وقواعد الحساب البسيطة وينصرفون الى أعمالهم ومن أراد منهم الدخول في مدارس الحكومة دخل، وأشهر الكتاتيب هي كتاب ملا أحمد بن الحاج فليح في سوق الجوخه جيه وكتاب الحاج حسن في مسجد نجيب الدين خلف الرشدية العسكرية وكتاب الملا محمد بن الحاج فليح في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وكتاب الملا جابر في مسجد حادي بادي في الهيتاويين وكتاب السيد حسين الحافظ في جامع الحاج فتحي وغيرها.

السقايات– (السبيلخانات)

كان في بغداد سقايات لشرب الماره في أماكن كثيرة أوقفها أصحابها أمام الجامع أو المسجد أو منفردة– وحسناً فعلوا– فأما الآن فلم يبق منها إلا الشيء اليسير.

ومنها سقاية مسجد النقيب في محلة السنك وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وإذا أراد الآن الإنسان تسكين عطشه فما عليه إلا أن يجلس في قهوة ويشرب الشاي والقهوة رغم أنفه ويدفع ثمنها كل ذلك ليكون له الحق في شرب الماء.

والسقايات التي كانت موجودة في الزمن الذي نحن بصدده هي:

في جامع فتحي، جامع الشيخ عمر، جامع الكهيه، جامع نازنده خاتون، مسجد النقيب، جامع النعمانية، جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، جامع الخلفاء، جامع الأزبك، مسجد التسابيل، جامع سراج الدين، مسجد السيف، وجامع معروف الكرخي، والأخيران في الكرخ، وهذه التي كانت مستعملة، وأما المتروكه فهي كثيرة جداً إذ كان أغلب المساجد فيها سقايات.

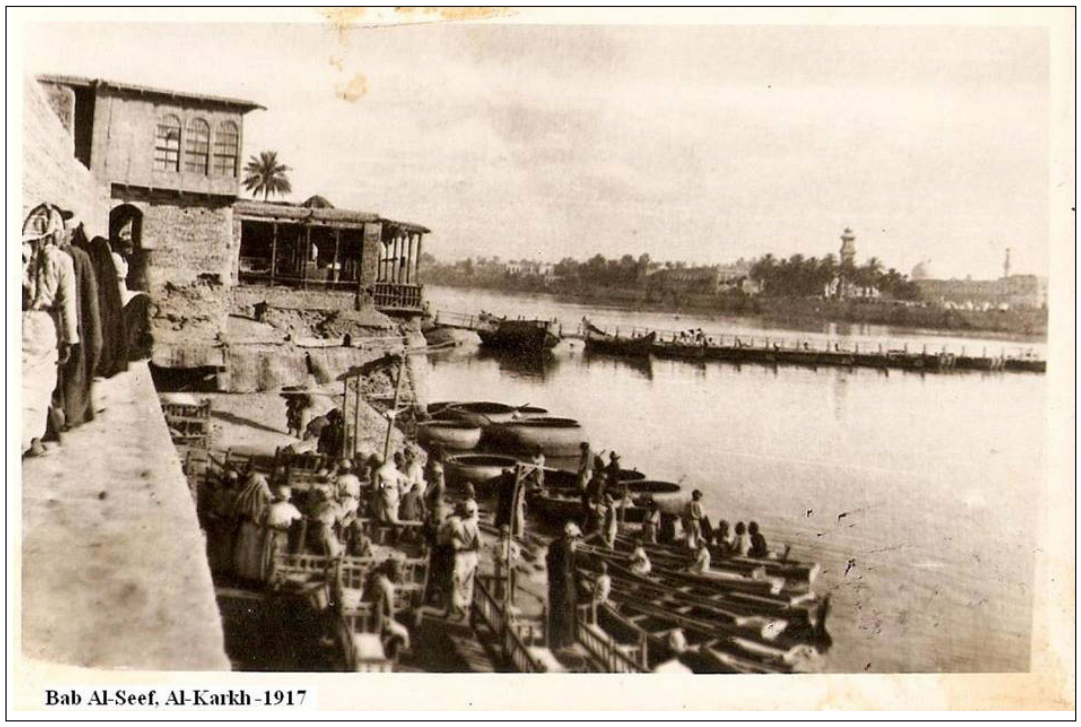
Bab Al-Seef, Al-Karkh -1917

عن كتاب مراحل الحياة في بغداد في الفترة المظلمة.. تأليف محمد رؤوف طه الشيخلي

صفحات من تأريخ المكتبات والكتبيين في سوق السراي

شمس الدين الحيدري

هل يحق لسوق السراي ان يكون الوريث الحقيقي (لسوق الوراقين) في بغداد القديمة؟.. بغداد المجد الحضاري الشامخ حيث تخرج فطاحل العلماء والفلاسفة والشعراء والنساخون والوراقون الذين كان لهم الفضل في مختلف العلوم والآداب والتأليف. فبعد الحقبة الطويلة التي نالتها بغداد من الكوارث والنكبات، كادت تندرس اشارات الحضارة والفكر من وجه هذه المدينة العريقة وما زخرت الثقافة الاسلامية والعربية فيها من معارف ومؤلفات ومصادر رصينة.

اطلق على سوقنا اسم (سوق السراي) لأنه يصل العابرين من الجانب الغربي لدجلة على الجسر القديم الوحيد الذي يربط الرصافة بالكرخ. للوصول الى (سراي) الولاية العثمانية في عهدها الاخير اذ كانت دوائرها مجتمعة في رقعة واحدة من مقر الوالي العثماني الى مركز الجندرمة والبريد والمحاكم والبلدية وحتى المدرسة الاعدادية الوحيدة آنذاك (المركزية) وكانت القشلة التي شيدها الوالي مدحت باشا عام ١٨٦٩م مقرا للوالي والدوائر التابعة له.

هي ذاتها البناية الجديدة التي شغلها الحكم الوطني عام ١٩٢١م يضم لها ابنية مجاورة ومتقاربة... مثل دار الملك فيصل الاول (قصر الثقافة والفنون حاليا) ومجلس الوزراء. ووزارة الدفاع وتوابعها التي شملت التجنيد ونادي الضباط والسجن المركزي ومستشفى المجيدية (الجمهوري لاحقا) ولعل وزارة الخارجية هي الوزارة الوحيدة التي خرجت عن مبنى القشلة بمسافة.... حيث كانت بنايتها في باب المعظم، وهكذا يبدو سوق السراي بداية هذا القرن وكأنه الشريان الذي يربط الحياة الاجتماعية الهادئة لاهل بغداد بدوامة دوائر الدولة والوظائف والسلطة والسياسة... فكانت تسميته مقترنة بوظيفته الجغرافية ولم يكن حتى ذاك الوقت قد امتلك شخصية سوق المكتبات والوراقين، بل كان سوقا معنيا بالخدمات المرتبطة بأعمال الموظفين والمراجعين لدوائر الحكومة فشغل حوانيته عدد من الحذائين والطرابيشيين والسراجين وباعة العدد العسكرية والخوذ وكتاب العرائض والساعاتية. وعدد من باعة الكماليات والعطور والاربطة (واغلبهم من اليهود) ومطعم وباعة مرطبات ومقهى...

تفاصيل في الصورة

ادركت سوق السراي في العشرينيات وفيه من الحوانيت قرابة تسعين محلا ويبلغ طوله زهاء ١٣٠مترا ولما كانت تلك الحوانيت مختلفة في ملكيتها لذلك كانت عمارتها غير متشابهة كما ان مساحتها غير متساوية وسقوفها متباينة الارتفاع الا ان اغلبها كانت (معقودة) بالطابوق وابواب المحال خشبية كسائر الاسواق التجارية آنذاك. كما كان للسوق مدخل في كلا طرفيه باب للدخول واخر للخروج، ويحرسه حارس مسؤول عن امن محال وحفظ اموالها وهو معين من الحكومة وعلى صاحب كل محل ان يدفع له اجرا سنويا قدره(١٠روبيات) واستطيع ان أؤكد انني لا اتذكر حادثة سرقة تعرض لها احد محلات هذا السوق منذ مارست مكتبتنا (الاهلية) اعمالها في اوائل العشرينيات.

اما خدمات التنظيف فيمارسها يوميا موظفو البلدية، ومع ان ارضية السوق لم تكن مبلطة الا انها كانت نظيفة دائماً ويقوم احد السقائين واسمه (خضير) برش ارضية السوق بالماء صباحا وعصرا وخصوصا ايام الصيف الحارة، وله منا اجر اسبوعي لا يتجاوز (٢ عانة) علما ان العانة تعادل ١٦/١ من الروبية من كل محل

لذلك كانت الحرارة داخل السوق معتدلة واذ لم تكن الكهرباء معروفة حينذاك فان الانارة تتم بواسطة الفوانيس المعروفة، وسقاية اصحاب المحلات وروادهم والمتبضعين فيقوم بها احد السقائين واسمه (حسون) وهو يروي عطش الشاربين بالماء المثلج صيفا وبالكاسات النحاسية اللامعة.

يرتبط سوق السراي عبر مدخل خاص بجامع الوزير الملحق به سوق موقوف اختص شاغلوه بالسراجة وهو بموازاة سوق السراي وفيه خان لتجار مواد الاحذية ومخازن تعود لبعض اصحاب الحوانيت، وفيه مدخل لسوق الصاغة يسمى سوق الشاهبندر وكان معظم شاغليه من اليهود، وقرب مدخل الجامع يقع مطعم (الحاج رشيد) الذي كان يتميز بجودة طعامه، اغلب حوانيت سوق السراي شغلها حينذاك صناع الاحذية والجلود والبعض يمارس كي الطرابيش وبيعها اذ كان الطربوش يقترن بقيافة (الافندية) وهم موظفو الحكومة كما يلبسه رجال الدين بعد اضافة العمة البيضاء له والخضراء للسادة العلويين، والصفراء المزركشة بالبريسم الاصفر والمسماة (الكشيدة) لكثير من التجار المتأنقين، وكان هناك بعض صناع (الكلاوات) المصنوعة من الوبر والقديفة.. وقد تحول بعض من ابناء اولئك الحرفيين الى حرفة المكتبات بعد ان حافظوا على القابهم المقترنة بمهن ابائهم امثال ابراهيم السدايري ومحمود قالبجي وعزيز القديفي...

وقد تعهد باستيراد السدارة في عهد فيصل الاول ال قنبر اغا المرحومان مهدي وعبد الرزاق وعلي، وكذلك المرحوم الحاج رضا وهو اقدم من ادركته في سوق السراي، كما كان هناك خمسة خياطين ثلاثة منهم للألبسة الشعبية واثنان للألبسة الحديثة، وفيه مختصون بصناعة اللوازم الجلدية للعدد العسكرية كما كان فيه من يعمل السدايرالعسكرية والعلامات والنياشين ومن المفارقات ان يكون هناك حانوتان متقابلان في آخر السوق يمارسان بيع الكبة مع الشربت ويشاء الحظ ان ينال احدهما شهرة واسعة واقبالا كبيرا وكان لرجل اسمه(رشيد) يزدحم عليه القاصدون طوال النهار، بينما لم ينل المحل المقابل نصيبه من اولئك القاصدين مع ان المجهز لكليهما واحد يمارس صنعته في بيته ثم يأتي بها لكليهما يوميا، وقد نال رشيد شهرة واسعة فاقترنت به (كبة السراي) البغدادية الشهيرة.

المكتبات في سوق السراي

من بين اؤلئك الحرفيين والباعة، ادركت المكتبات العربية الاتية : المكتبة العربية للمرحوم نعمان الاعظمي تأسست سنة ١٩١٢م، والعصرية لصاحبها المرحوم محمود حلمي افتتحت سنة ١٩١٤، ومكتبة الشرق للمرحوم الملا خضر، والرابعة المكتبة الاهلية للمرحوم والدي السيد عبد الامير الحيدري، انتقلت من الكاظمية الى سوق السراي سنة ١٩٢٢م واتذكر كتبيا آخركان يتعاطى بيع الكتب التركية هو الشيخ محمد.. كانت مكتباتنا تلك تتعاطى بيع الكتب العربية سواء كانت مخطوطات او مطبوعات كانت ترد في بادئ الامر من الاستانة وايران والهند وقليل منها يرد من مصراو الشام.

وفي فترة العشرينيات بدأت المكتبات الاربع تنشط بأتجاه تهيئة الكتب العربية وتستورد من مصر بالذات، كل حسب امكانياتها وقدراتها وصلاتها مع الرواد الذين اخذوا بالتوافد على السوق ليحصلوا على ما يريدون من كتب ترد من الخارج ومما يتجمع فيه من كتب قديمة ومستعملة من البيوت والمكتبات الشخصية الموروثة،لذلك نشطت حركة تداول الكتب وبدأت طلائع العلماء والمثقفين والشباب المتطلع الى المعرفة والمتعطش الى القراءة والثقافة الحديثة التي بدأت تطل علينا من مصر والبلاد العربية الاخرى، وكانت انشط تلك المكتبات هي (المكتبة العربية) التي تكاد تكون المتخصصة بالكتب الدينية والتراثية بمختلف مواضيعها، يليها في النهج مكتبتنا الاهلية، بينما تبنت المكتبة العصرية استيراد الكتب المصرية الحديثة وحصلت على وكالات عديدة للمجلات التي تولت نشرها دار الهلال لآل زيدان المصرية، فكانت تلك المجلات مثل المقتطف والهلال... والسياسة لمحمد حسين هيكل ومجلة الازهر وغيرها تجد اقبالا كبيرا لدى القراء العراقيين والشباب منهم على وجه الخصوص، فتسابقوا لالتهام تلك الثقافة الجديدة بالنسبة لهم لما تمتعت به حركة النهضة الثقافية المصرية من تطور

في عهد نابليون واسرة محمد علي الكبير التي شجعت على البعثات الأولى الى اوربا،بينما كان العراق يعاني في نفس الفترة من جور الاحتلال العثماني حيث يشتري ولاته مناصبهم من السلاطين ويتسابقون في ارسال خيرة شباب العراق الى حروب الدولة العثمانية في القفقاس وغيرها من الحروب التي يلفها الجوع والموت وقلة الامكانات والتجهيز، واعرف ستة اخوة ارسلوا ضمن ذلك الجيش فيما كان يعرف ب (السفر برلك) لم يعد منهم بعد حين سوى اثنين نالا من الاعياء والمرض مالا يوصف...

وفي سنوات اواسط العشرينيات بدأت تفتتح مكتبات جديدة في سوق السراي في حين انحسر بعض من محلات الحرفيين لتحل محلها المكتبات امثال المكتبة الوطنية للمرحوم عبد الحميد زاهد التي انتقلت من النجف، ومكتبة الطلبة والتجدد والشبيبة، وما ان طلت علينا الثلاثينيات حتى كانت حرفة المكتبة قد اخذت حيزا واضحا من السوق وخصوصا بعد انسحاب اليهود من مهنهم وسفر الكثير منهم، ليتحول سوق السراي الى مركز كتبي كبير في بغداد وخاصة بعد ان بدأ تداول الكتب المدرسية وكان معظمها مصريا اوسوريا اذ لم تكن المناهج العراقية قد هيأت لها كتبا عراقية الا في مواضيع قليلة لذلك اصبح السوق مركز تجمع للطلاب في مواسم الدراسة وتبع ذلك ظهور محال القرطاسية ولقد اقترن توسيع المدارس والدراسة بنشاط الحكم الوطني الذي سعى لنشر المدارس بعد ان كانت قليلة جدا ولا تتناسب مع نفوس العراق ايام الحكم العثماني فالمدارس تفتح وفقا لمشيئة الحكام والدراسة متخلفة والمناهج تتبع رغبة الحكام.

وقد كان المرحومان نعمان الاعظمي ومحمود حلمي هما اول من بدأ السفر الى القاهرة ليجلب كل في اختصاصه لمكتبتهما ما يستطيع ليطور استيراد الكتب وينوعها في بغداد اما والدي السيد عبد الامير الحيدري فقد بدأ باستيراد الكتب من الدول العربية من دون ان يسافر وبالذات من مكتبة الحلبي والمكتبة التجارية في مصر والمكتبة الهاشمية في الشام وتنوعت الكتب المستوردة بين كتب التراث والادب والشعر والدراسات الدينية والمدرسية، وبمثل هذا النشاط الجديد اصبح سوق السراي مركز لقاء وحضور ثقافي يضم الاديب والطالب والفقيه و السياسي والعاشق للكتاب والمتشبه بكل اولئك !! ونستطيع القول ان سوقنا اصبح في نهاية العشرينيات وريثا شرعيا لسوق الوراقين الذي تحدثت عنه المصادروالكتب في بغداد القديمة الذي كان الجامعة الاولى ومركز الاشعاع الفكري الاهم في ذلك العصر. وفرض سوق السراي نفسه ليكون مركز الاشعاع الفكري والجامعة العراقية الاولى في القرن العشرين.

شمس الدين الحيدري

عطلت المعاناة التي عاشها العراق بعد انهيار الحكم العباسي اثر نكبة بغداد عام ٦٥٦هـ. ١٢٥٨م نشاطه وازدهار حضارته التي كانت قد بلغت من الرقي ما جعلها تستعيد الريادة الحضارية التي احتلتها بلاد مابين النهرين على مر التأريخ، بيد ان الارض التي انتجت تلك الحضارة كانت تتجدد مع كل محنة تحل بها، وهكذا استعاد العراق ريادته في التواصل الحضاري من نخب من العلماء والمبدعين الذين غذوا الفكر والمعرفة بجيل من العباقرة والمفكرين الذين مازال العالم يتحدث عن نبوغهم وفضلهم على العلم والانسان ولم يقنطوا ولم ييأسوا وبما تيسر لهم من سبيل استمرار الثقافة والتأليف فسجلت مراجع الكتب ووموضات الفهرسة العديد من المؤلفات المتنوعة المواضيع والعلوم التي انتجت في تلك الفترة، ولعل المرحوم (عباس العزاوي) كان واحدا ممن سجل في موسوعته (تاريخ العراق بين احتلالين) و (التعريف بالمؤرخين) و (تاريخ الادب العربي في العراق) وغيرها الكثير من تلك الكتب

وان كان قد فاته ذكر كتب عديدة اخرى من كتب الفقه والتفسير والكلام كما انه لم يورد كتبا اخرى لطوائف غير مسلمة ظلت وفيرة .

وعلى الرغم من تلك الحروب والكوارث فقد احتل الكتاب العراقي مكانة بارزة في معظم مكتبات العالم بجدارة ولاتزال هناك الملايين من كتب عراقية منتشرة في اصقاع الارض من نتاج الفكر العراقي وعلى مدى مئات السنين .

الطباعة في العراق

في عام ١٨٣٣م وفي عهد المماليك استوردت اول مطبعة في بغداد باسم (مطبعة دار السلام) في عهد داود باشا وقد طبعت عدة مطبوعات منها (كلشن خلفاء) المسمى دوحة الوزراء باللغة التركية وانشئت مطابع اخرى اوردها ادناه مع سنة تأسيسها وجهة التاسيس :.

- مطبعة كربلاء سنة ١٨٥٦م طبعت كتبا فقهية وادعية مع مقامات الالوسي .
- مطبعة الاباء الدومينكان في الموصل سنة ١٨٥٦م طبعت كتاب رياضة درب الصليب .
- مطبعة كامل التبريزي في بغداد طبعت كتاب تاريخ القرماني بالطباعة الحجرية .
- المطبعة الكلدانية سنة ١٨٦٣م في بغداد صاحبها الشماس روفائيل.
- مطبعة الولاية ١٨٦٩م في بغداد الوالي مدحت باشا طبعت جريدة الزوراء .
- مطبعة الفيلق ١٨٦٩م في بغداد الوالي مدحت باشا .منشورات عسكرية .
- مطبعة الولاية ١٨٧٥ الموصل- تحسين باشا والي الموصل- صحيفة الموصل.
- مطبعة كركوك ١٨٨١ كركوك- فيضي باشا- جريدة كركوك. المطبعة الحيدرية ١٨٨١ عبد الوهاب نائب الباب العالي كتاب بحرالكلام. - مطبعة بيخور ١٨٨٤ بغداد الحاخام يهودا بيخور الكتب العبرية
- مطبعة السريان ١٨٨٩ الموصل بعثة السريان اليعاقبة كتاب فاكهة الخلفاء.
- مطبعة البصرة ١٨٨٩ البصرة جلبي زاده محمد علي جريدة البصرة.

عطلت المعاناة التي عاشها العراق بعد انهيار الحكم العباسي اثر نكبة بغداد عام 665هـ. 1258م نشاطه وازدهار حضارته التي كانت قد بلغت من الرقي ما جعلها تستعيد الريادة الحضارية التي احتلتها بلاد مابين النهرين على مر التأريخ، بيد ان الارض التي انتجت تلك الحضارة كانت تتجدد مع كل محنة تحل بها .

- مطبعة دار السلام ١٨٨٩ بغداد ابراهيم باشا بلوغ الارب في احوال العرب للالوسي وهي التي طبعت الخط السلطاني والدستور العثماني.
- مطبعة دنكور ١٩٠٢ بغداد الحاخام عزرو دنكور.
- مطبعة الشاهبندر ١٩٠٧ بغداد محمود الشاهبندر العقد المفصل للسيد حيدر الحلي.
- مطبعة النجف ١٩٠٩ النجف جلال الدين الحسيني صحيفة الحبل المتين.
- مطبعة الاداب ١٩٠٩ بغداد مجلات وصحف.
- مطبعة محفوظ ١٩١٠ الموصل عيسى محفوظ صحيفة نينوى.
- مطبعة سليمان الدخيل ١٩١٠ بغداد سليمان الدخيل صحيفة الدستور.
- مطبعة الصنائع ١٩١١ كركوك مدرسه الصنائع نماذج حكومية.
-مطبعة عبد الله الزهيري صحيفة العرب.

لقد ورد تسلسل هذه المطابع في كتاب تاريخ الطباعة في العراق لمؤلفه شهاب احمد الحميد وهي تغطي فترة تتجاوز الثمانية عقود تعرض فيها ملايين من العراقيين للفناء عن طريق الحروب والكوارث والتهجير والامراض حتى اصبح عدد سكان العراق عند انحسار الاستعمار العثماني وسطوة الاستعمار البريطاني حوالي مليوني نسمة ومع ذلك لايمكن تجاهل الكتب التي طبعت في الخارج ووصلت الينا من مطابع الاستانة وطهران والهند والقاهرة وبيروت ودمشق في التاريخ والتراجم وسير العلماء والفهرسة ولابد من الاشارة الى تنوع اساليب الطباعة المحلية والخارجية التي كانت طباعة حجرية قبل ان تدخل الاساليب المتطورة نسبيا في صناعة وفن الطباعة.

الوراقون ومحترفو بيع الكتب

ترتبط الوراقة بالثقافة وليس من المصادفة ان يكون الوراقون القدماء من فضلاء الناس ومثقفيهم والبعض ممن له باع في المعرفة والتأليف حيث ترك غير قليل منهم مراجع وموسوعات ومؤلفات بقيت شاخصة على مدى قرون طويلة ولما تزل وعن الفترة التي نتحدث عنها وهي اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين من تاريخ العراق فاستطيع التأكيد ان ممارسي الوراقة كانوا في الغالب من الفضلاء الذين الفوا كثيرا من الكتب وبمواضيع مختلفة وكانت مكاتبهم التي انتشرت في المساجد المعروفة وباحاتها واواوينها خاصة في بغداد كالحضرة الكيلانية وجامع ابي حنيفة والسيد سلطان علي اضافة الى الصحن الكاظمي الشريف الذي ضمت اواوينه العديد من باعة الكتب الدينية كالمصاحف والادعية والمواعظ والفقه والعبادات وبعضاً من مكاتب التاريخ والادب واغلب تلك الكتب مطبوعة بالطريقة الحجرية وهي مستوردة من الاستانة والهند وايران وبيروت ودمشق اضافة الى مطبوعات بغداد والنجف خاصة في الفترة التي توفرت فيها المطابع الحديثة التي بدأ استيرادها عام ١٨٣٠م وفي جوامع بغداد انتشر العديد من المكتبات وخصوصا في الجوامع التي ضمت حلقات الدرس والوعظ حيث كان لعلماء بغداد القدامى الفضل بالتأليف والتدريس مثل الاسرة الالوسية العريقة بالعلم والمعرفة وشيخها (ابو الثناء الالوسي) صاحب تفسير روح المعاني. ونجله (خير الدين نعمان) والاستاذ(محمود شكري) واولادهم. وقد نوهت مجلة (لغة العرب) عن بعض تأليفهم ومطبوعاتهم.وقد وجدت في الكتب التي تركوها بالاضافة الى مؤلفاتهم التي طبعت على حسابهم في الاستانة وبيروت ودمشق.كتبا اخرى وبكميات كبيرة اكاد اجزم انها كانت بقصد تصريفها وبيعها، فقد صادف ان اشتريت مجموعة كبيرة من الكتب عام ١٩٥٣مكتبة جامع مرجان وجدت بضمنها كتبا بالجملة مثل(كتاب التوحيد) للامام جعفر الصادق(ع)، و(الاستدراكات على مقامات الحريري) لابن الخشاب، وكتاب(غاية السؤال في سيرة الرسول) لمؤلفه عبد الباسط الحنفي، والصحيفة العلوية للامام علي(ع) والجنة الوافية وكلاهما ادعيه مطبوعة بالطباعة الحجرية في ايران...مما يؤكد ان مثل هذه الاسرة العريقة بالتدريس والتأليف كان الكثير من اعلامها وانجالهم قريبين من الوراقة وعالمها وادابها. وقد اورد الاستاذ عباس العزاوي في كتابه(تاريخ الادب العربي في العراق) عن مثل هذه النماذج للوراقين المؤلفين او المؤلفين الوراقين مثل الشيخ حسن القفطان وهو وراق في احد اواوين الصحن في النجف الاشرف ومؤلف العديد من الكتب العربية. كما ان جدي المرحوم السيد كاظم الحيدري واخاه السيد عبد الكريم ابنا العلامة السيد حسين السيد حيدر .كانا من علماء بغداد ووراقيها. حيث كان للاول بعض المؤلفات والمجاميع الخطية وترك مخطوطة ابتدأ فيها بتفسير القران الكريم الا ان الاجل لم يمهله لانجاز مثل هذا العمل الكبير حيث توفي وهو ابن ٣٩ سنة عام ١٨٨٥. وقد ذكره العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه(المثل العليا في الاسلام) هو ووالده السيد حسين في مقام العلماء الذين ادركهم في بغداد. كما ان اخاه السيد عبد الكريم كان قد احتل مقام ابيه في (دواخانه)المرحوم السيد حسين السيد حيدر.وكان له مقام وزعامة في بغداد وشارك في نشاطات دينية ووطنية مهمة. وانشأ على حسابه الخاص حسينية في محلة الدهانة. كانت مركزا مهما من مراكز نشاط الوطنيين في بغداد.وقد اجتمع المرحوم الملك فيصل الاول به عند مجيئه الى العراق ودعاه ليكون من الاعوان والخاصة لما بينهما من نسب حسني هاشمي.الا ان الرجل رجاه ان يكتفي منه بالدعاء والتأييد في حكمه للشعب بالعدل والمساواة. ولعل الكثير ممن عاشوا تلك الايام يذكرون تشييعه المهيب عند وفاته سنة ١٩٤٤م حيث حمل على الرؤوس الى الكاظمية من قبل الاف الناس ليدفن في حسينية العائلة هناك.لقد كانت ممارسة الاخوين الانفين لحرفة الوراقة اواخر القرن التاسع عشر وفي سوق السراي وان لم تدم طويلا الا انها كانت خير ميراث لوالدي السيد عبد الامير الحيدري عندما انصرف الى هذه الحرفة فيما بعد والتي نعتز بها.

وخلاصة القول ان الوراق لم يكن مجرد بائع ومشتر للكتاب بل له دور مهم في مسيرة الكتاب وانتقائه ونشره بين الدارسين الذين تنتظرهم الامة وتامل منهم كل تقدم وازدهار للعلم والمعرفة وضمن هذا الفهم الحضاري للعلم تعددت قوميات المدرسين والدارسين وتبادلوا الانتفاع والفضل في اكتساب العلم ونشره فبالاضافة للعرب كان هناك اكراد وترك وفرس وهنود نهلوا من العلم وافادوا واستفادوا في بغداد منارة العلم والحضارة .

بغداد . . اسطورة الزمان

في التاريخ قليلة هي المدن التي اصبحت مثالا للكمال، ووصلت إلى اقصى حدود الخيال والدهشة، مدن خلابة، مدن سحرية، مدن عاشت عصورا ذهبية مثلت ارقى مثال، وربما دخلت مجال الخرافة في جوانب عديدة من اطوار تاريخها.

بغداد من هذه المدن فمنذ تأسيسها اخذت بكل الاسباب، التي جعلت منها مدينة لا تتكرر في التاريخ، بغداد مجالس العلماء والشعراء، بغداد المتوجة بالجدل والفلسفة والنحو والفقه، وحركات التصوف والزهد، وحركة الترجمة والمترجمين، والحركات الفكرية المتصارعة والمبدعة على ساحتها، بغداد الف ليلة وليلة، وحكايات شهرزاد وشهريار، ولياليهم الخلابة، وحكايات السندباد ورحلاته السبع، بغداد الصعاليك والبهاليل والحرفيين والوراقين والشطار والعيارين، نبع من حيوات متداخلة متجانسة متنافرة، الا انها في نهاية المطاف بغداد بمنائرها المطلية بالبياض، والاخضر والكاشاني، وبغداد بنهرها الخالد دجلة وبساتينه وطيوره وزوارقه، بجسورها وعيون المها بكرخها ورصافاتها.

بغداد التي اجتمعت على ساحتها، انواع شتى من فنون الحضارة، واجتمعت وتوحدت تحت رايتها اجناس مختلفة، وغيرها من النعوت والاوصاف، نبع حيوات لا ينضب، بغداد الوافد عليها لا يريد ان يبارحها، والخارج منها تنهشه الحسرة والندم، وتبقى ترن في خياله مثل ليرة من الذهب الخالص.

بغداد التي تحتفل في عيدها هذه الايام وهي تنفض عن نفسها تعب السنين ومرارة الايام ..المدى تقدم لمحبي بغداد وعشاقها هذا الملحق الخاص من ذاكرة عراقية وهو يحمل عبق الذكريات وصدى السنين

ذاكرة عراقية

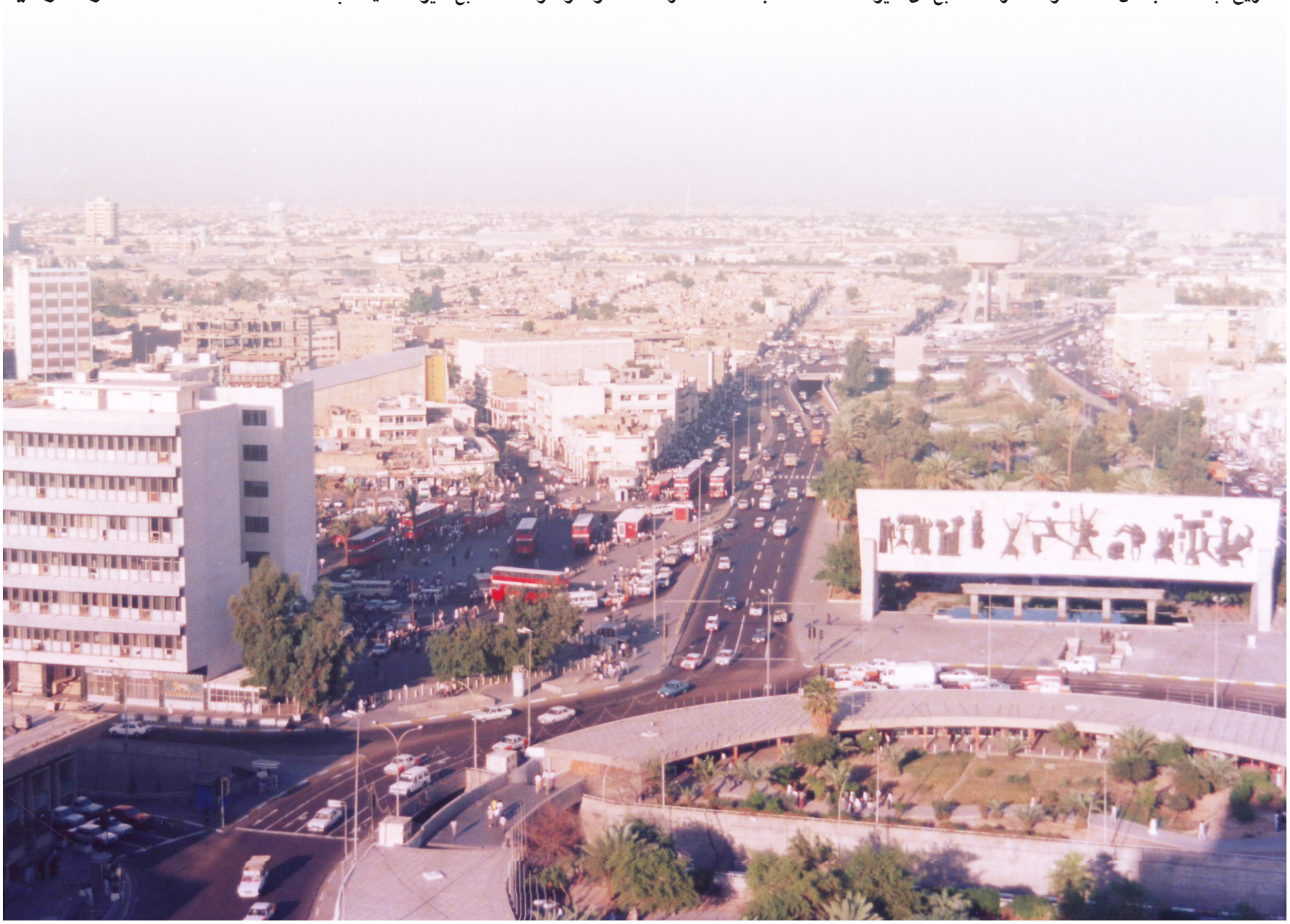

32 العدد (1656) السنة السابعة الاثنين (16) تشرين الثاني 2009
ذاكرة عراقية
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب